روايات المؤرخ
ميخائيل السوري الكبير

obeikandl.com

« زحف الفرنجة إلى بلاد المشرق »

لما استولى الترك على بلاد فلسطين وسورية أخذوا يفحشون في تعذيب النصارى القاصدين الحج إلى بيت المقدس ، ويتقاضون منهم المال عند دخولهم المدينة وزيارتهم جبل الجلجلة وضريح السيد المسيح ، ويبالغون في التضييق خصوصا على الزوار الوافدين من روميه وإيطاليا إلى بيت المقدس ، ويوقعون بأقوام منهم ظلما وعدوانا فتحمس ملوك الفرنج وأقطابهم فحشدوا جيوشا كثيفة وخرجوا من رومية وانضم اليهم في الطريق الأمراء والقواد والعساكر من القواد والعساكر من جميع أنحاء أوربا يريدون استنقاذ البيت المقدس من أيدي المسلمين ، وكان خروجهم من بلادهم ١٠٩٧ م وهي السنة الثانية والخمسين لظهور الترك (٤٩١ هجرية) وكان الكسس يومئذ ملكا على القسطنطينية .

وكان يضم جيش الأفرنج الوفا وربوات من العساكر والجنود والضباط والصناع واستصحبوا طائفة من الأساقفة ولفيفا من الأكليروس والرهبان وعلى راسهم ملكان وسبعة قمامصة اما الملكان فهما بوهموندوطنركيد ، واما القمامصة فهم روجر وبيموند وبلدوين وجوسلين وغالارن وغودفري وصنجيل فساروا إلى إسبانيا أولا وملكوها ، ثم توجهوا برا وبحرا إلى القسطنطينية ، فوصلوا إلى الخليج حيث يجتمع البحران ، وأرسلوا وفدا إلى الكسس لينضم إليهم ، وليوصي أهالي مدن مملكته ليجهزوا المؤن للعساكر والخيل فوعدهم بذلك ، لكنه مالبث أن خلف بوعده ، فاتصل بالأمراء الترك في نيقية وغيرها ليرسلوا عساكرهم ويقاتلوا الأفرنج فاحتشدوا للحال وساروا بحشدهم وجموعهم وانقضوا عليهم في سواحل البحر ، واعملوا فيهم السيوف قتلا ونحرا حتى أبادوهم برمتهم ، فانهزم الباقون إلى القسطنطينية وحاصروها سبع سنوات (١) ثم تحالف الأفرنج مع ملك الروم ووزرائه فخرجوا معا

من ناحية غلاطية ، ووصلوا إلى نيقية فحاصروها واحتلوها وملكوا عليها الكسس ، ولما ارتحلوا إلى قليقيلة ارتجت لهم الأرض وهلعت منهم القلوب وبات الملوك جميعا يحسبون لهم الف حساب ، ثم توجهوا إلى انطاكية لانها مفتاح بلاد سورية ، وخيموا في ضواحيها وأخذوا يغيرون على الغادين والرائحين ، وقطعوا المؤونة عن البلد وعاثوا في الحقول والضياع والمزارع المحيطة بها فسادا وخرابا ، وقد بقي الأفرنج يحاصرون انطاكية تسعة اشهر .

في ذلك الزمان عندما كان الأفرنج يحاصرون انطاكية حدث فيها زلزال عظيم فقوض كثيرا من الأبنية الفخمة ، وقد ظهر في أساس أحد أبراجها المتهدمة بيت قديم يشتمل على أشخاص من نحاس شتى بأشكال فرنجية تمثل رجالا ممتطين الخيل مدججين بالرماح والسيوف النحاسية ، متدرعين بأصناف الأسلحة فأمر يغسيان التركي أن يبحثوا عن أصلها وفصلها فلم يهتد أحد إلى حقيقتها ، بل غلب على ظنهم أنها أصنام وثنية فأمر الوالي بتكسيرها وتحطيمها ، واتفق أن عجوزا عمياء أذاعت آنذاك أنها سمعت الكهان يقولون إن في أسفل ذلك البرج طلاسمات لتمنع أمم الفرنج من الخروج ومن عبور البحر ، فلما سمع يغسيان الوالي قول تلك العجوز ندم لأنه حطم تلك التماثيل ، وسألها هل سمعت كيف يمكن أن ترمم فأجابت : لا ، فأمر بضربها وقتلها .

أما الأفرنج فبعد أن خرجوا من البحر إلى الساحل عقدوا مجمعا وعاهدوا الله تعالى انه إن أتاح لهم الاستيلاء على بيت المقدس فإنهم سوف يعاملون بالحسنى جميع النصارى من أي مذهب كانوا ، وانهم سوف يهبون لكل طائفة تؤمن بالمسيح كنائس وأديرة .

« استسلام الرها للفرنجة »

لما سمع الرهاويون بقدوم الفرنج إلى بلاد المشرق ووصولهم إلى انطاكية طلبوا من الوالي ثاودوس بن هاتم أن يكاتبهم ويستحثهم القدوم إلى الرها ليحميهم من هجمات الترك أعدائهم ، فرفض ذلك في بادىء الأمر وأخذ يثنيهم عن ذلك ، لكنه تخوف أن يتصلوا بالفرنجة سرا ، فأرسل إلى الدوق غودفري رئيس القواد وفدا حمله كتابا يطلب فيه أن يرسل جيشا ليتسلم منه ولايته ، ولما اطلع الفرنج على ذلك الكتاب ابتهجوا ابتهاجا عظيما واستبشروا خيرا ، وقالوا : كما أن الرها سبقت أورشليم في الايمان بالسيد المسيح هكذا شاء الله تعالى أن تدخل قبلها في حوزتنا ، فبعث غودفري بأخيه بلدوين وسيره في شرذمة من الجنود ، فخرج الأهالي لاستقباله مرحبين وادخلوه المدينة وملكوه عليهم مسرورين .

وما أن استلم بلدوين مقاليد الأمور في الرها حتى بدأ الأهالي يتعرضون لثاودوس الوالي لحقدهم عليه ، ثم مالبثوا أن ثاروا عليه فهرب إلى الحصن الذي كان قد سلف له أن بناه فوق باب المدينة الشرقي فأحاطوا به وتسلقوا الحصن وقبضوا عليه وخلعوا عنه ثيابه سوى مايستر عورته ، ثم دلوه من أعلى السور على هذه الحالة فانقض عليه الأهالي وفتكوا به ، ثم صادر بلدوين أمواله وسيطر على الحصنين ، ووضع فيهما حامية .

« الاستيلاء على أنطاكية »

عم الفرح بين الفرنج بعد الاستيلاء على الرها ، وقد شد عزائمهم هذا المكسب فزحفوا إلى أنطاكية ، فاستدعوا روزبه الفارسي ، وأخوين أرمنيين ، وكان هؤلاء الثلاثة يحرسون البرج من ناحية كشكروف وأغراهم بوهيموند بمال كثير إن سمحوا لهم بالعبور فوق الجسر المبنى على قضبان حديدية ، وهكذا كان فأقبل الأفرنج ليلا وعبروا المضيق وتسلق بعضهم بالحبال إلى أعلى السور ، والتف الباقون حوله وقبل بزوغ الفجر شرع الأفرنج ينفخون في الأبواق فاستفاق يغسيان الوالي مذعورا معتقدا أن الأفرنج قد استولوا على القلعة ، فهرب من الباب الأعلى للحصن في ناحية الجبل الشرقية الجنوبية ، وسار باتجاه حلب بصحبة ثلاثة رجال ، لكنه سرعان ماكتشف أن الفرنج لم يستولوا على القلعة بعد ، فحزن حزنا شديدا وأخذ يعض أنامله ندما ويقول : والهفي كيف تركت بلدي وأهلي وأولادي وأموالي وخرجت وحيدا مدشردا ، وكان طوال الطريق يلتفت نحو أنطاكية وينوح عليها إلى أن سقط عن حصانه ، فأركبه أصحابه ، فسقط ثانية فأركبوه ثالثة فتركوه وحده ، فمربه رجل أرمني كان يقطع حطبا في الجبل فقطع رأسه وأخذه إلى الفرنج .

بعد ذلك دخل الفرنج أنطاكية دون اكتراث بالعسكر التركي المتبقي في القلعة وبقي الأتراك داخل القلعة ثلاثة عشر يوما ، أجهدهم فيها الجوع الذي كان يفتك بهم وبدوابهم حتى اكلوا لحم خيولهم ، واشتدت المجاعة حتى بلغ ثمن رأس الحمار عشرين دينارا تقريبا .

في هذا الوقت أقبل كربوقا التركي في مائة الف فارس من أطراف بغداد والموصل ، فمر بالرها واستباح ضواحيها قتلا ونهبا واستأنف

المسير الى حلب فبلغه ان الفرنج قد احتلوا انطاكية فغضب غضبا شديدا وعجل لاستردادها ، وكان العسكر التركي الذي في القلعة مازال محاصرا يقاوم الفرنج ليل نهار ، فوصل كربوقا مع جيشه وخيموا عند بغراس حيث كان معسكر الفرنج قبل دخولهم البلد ، فأصاب الفرنج يأس شديد ، واخذوا يقيمون الصلوات ويثابرون على الصوم ، ويتضرعون إلى الله ليساعدهم على الغلبة ، في ذلك الوقت راى طنكريد رؤيا فحفروا في احد امكنة بيعة القسيان وعثروا على مسامير صليب المسيح ، فسكبوا منها صليبا وسنانا لواحد من رماحهم ، وخرجوا لقتال الترك واعملوا فيهم السيف وملأوا الأرض من جثث القتلى ، ودحروا من بقي إلى مابين النهرين (الجزيرة) حدث ذلك في ٣ حزيران عام ١٠٩٨ م وتولى انطاكية بوهيموند وابن اخته طنكريد .

ثم اتى الأفرنج إلى المعرة وسروج وكانتا لبني عطير .

استيلاء الفرنج على بقية سورية وبيت المقدس

كان المصريون قد صعدوا واخذوا بيت المقدس من الترك قبل خروج الافرنج ، فتوجه الافرنج اولا الى يافا ، واخذوها بالسيف ، ثم توجهوا الى بيت المقدس ، وكان بها والي الافضل المصري فاقاموا برجين احدهما عند باب صهيون في الناحية الجنوبية وثانيهما عند مار اسطفانس في الجهة الشرقية ، فبادر المسلمون والقوا النيران في برج باب صهيون فاندلعت وانتشرت ، لكن ما ان انتهى الحريق حتى وقعت في البلد صيحة عظيمة ان الفرنج قد اقتحموا المدينة ودخلوها من الناحية الشرقية .

وقد استطاع الفرنج ان يدخلوا بيت المقدس في تموز سنة خروجهم (١٠٩٩ م) وقد اعملوا السيف في العسكر والاهالي واوغلوا في سفك الدماء اسبوعا كاملا ، حتى بلغ عدد القتلى ثلاثين الفا ، وقتلوا في المسجد الاقصى نيفا وسبعين الفا ، وامتلأت شوارع المدينة من جثث القتلى فكوموها واحرقوها .

وكان اول ملك افرنجي بها هو غودفري وقد ملك سنتين ثم ملك بعده بلدوين مدة سبع سنوات .

ولما انتهت تلك المعركة الدموية ، اخذت امور الفرنج تقوى وتتحسن ، وتمت لهم الغلبه فتوجوا الدوق غود فروي ملكا على القدس ، ثم جالوا في اطراف فلسطين واحتلوا ضياعا وحصونا ومدنا شتى ، وساروا الى حبرون ، وابتنوا فيها كنيسة ضخمة ، واوحي الى بعضهم وهم قانتون صائمون عن مغارة الاباء حيث اضرحه ابراهيم واسحق ويعقوب فابتنوها على اجمل طراز .

ولما تمكن الفرنج في بيت المقدس وصلحت احوالهم اخرجوا الروم من الكنائس الكبرى ، وابعدوا اساقفتهم واقاموا من شعبهم

بطريركين احدهما لأور شليم والثاني لانطاكية ، فنصب البطريرك الانطاكي اساقفه لطرسوس والمصيصة والرها ودلوك وافاميا وطرابلس واللاذقية وجبلة وقوروس ومرعش وحارم ،ونصب بطريرك اورشليم اساقفه لبيت لحم وحبرون والسامرة ويافا والناصرة وقيساريه وصيدا وبيروت ، وكان جملة الاساقفة الفرنج عشرون اسقفا ، ولما استولوا على صور رسموا لها ايضا اسقفا .على ان مدينتي صور وعسقلان بقيتا في حوزة المصريين زمنا .

معارك صنجيل مع الطرابلسيين والدمشقيين والحماصنة

في عام ١١٠٣ استولى صنجيل (القائد الفرنسي) على طرطوس فبلغ الترك ان عسكره قليلون ، فوجهوا اليه من طرابلس ودمشق وحمص جيوشا ضخمة ، والتقى الجيشان الفرنجي والتركي . فانكسر الجيش التركي وهرب جنوده وقد سقط منهم كثير من القتلى .

فتوجه صنجيل الى طرابلس واستطاع احتلالها بعد حصار طويل ، فنظم احوالها ثم ولى عليها اولاده وعاد الى بلاده حاملا الحربة التي استخرجها الفرنج في انطاكية ـ كما ذكرنا من قبل ـ وعند وصوله الى القسطنطنية التمس الكسس الملك منه ان يعيره اياها لكي يتبرك منها ، فأعطاه اياها صنجيل ، لكن الكسس صاغ من تلك الليلة حربه مثلها وارسلها الى صنجيل واحتفظ بالحربة الحقيقية ، وهذه الحربة هي التي طعن بها اليهود في طبرية يقونة السيد المسيح تهكما وسخرية فسال منها للحال دم وماء .

احتلال الاتراك ملطية

كان الروم قد وضعوا جبرائيل الرومي (الملكي) على ملطية ، وكان الامير دانشمند صاحب كبدوكيا التركي يضايقه ويقلقه ويغزو بلاده اثناء الصيف وينقلب الى حاضرته ، فعول جبرائيل على التملص من مساوئه وعدوانه ، فكتب الى بوهيموند صاحب انطاكية يستقدمه ليسلمه البلد ، واقسم له على الوفاء بذلك ثلاثا ، مصرحا له بأنه يروم بكل خاطره ان يزوجه ابنته كيرا مورفيا ويوليه على ملطية بدلا من جهازها ، فوثق بوهيموند بكلامه وسار اليه في جيش جرار ، بيد ان ولاة الارمن مثل باسيل صاحب كيسوم وابناء روبين واصحاب ارمينيا تخوفوا من الفرنج متوهمين انهم اذا اخذوا بلادهم اخرجوهم عنها ، فارسلوا الى اسماعيل بن دانشمند سرا ليكمن لهم ويمنعهم من الدخول ، ولما اقترب بوهيموند من ملطية وخيم في قرية جفنة اوفد الى جبرائيل يطالبه بانجاز وعده ، فراح يؤجله من يوم الى يوم حتى وصل ابن دانشمند في عسكره وكمن لبوهيموند حتى تمكن منه ، واوثقه واوفده مكبلا الى سبسطيه ، وتوجه هو الى ملطية وشدد عليها الحصار ، فسار وجهاء البلد الى السيد يوحنا سعيد صابوني اسقف المدينة يتوسلون اليه ليشير على جبرائيل الوالي ان يسلم المدينة صلحا ، مع ان المطران المشار اليه كان فيما سلف يشجعهم ويبعث في قلوبهم النخوة ليقاتلوا الترك ، بيد ان جبرائيل ابى الا التصلب في رايه واستشاط سخطا على المطران وطعنه بيده ، ففاصت روحه حالا ، وعمد الى طائفه من وجهاء المدينة المسيحيين ، فقتلهم ظانا ان فعلته هذه سوف تمكنه من التشبث في بلدته ، لكنه مالبث ان هجم عليه قائدان قويان اتفقا مع الترك ، فسلموهما البلدة يوم الاربعاء في ١٨ ايلول ١٤١٣ يونانيه (١١٠٢) فانقضوا على ملطية التعيسة ، واخذوا اموالها لكنهم ابقوا على سكانها واعادوهم الى بيوتهم .

بعد هذا اوفد ابن دانشمند فاستحضر من بلاده الذخائر والمؤن والغنم والبقر ، واجزل الخيرات للاهالي ووطنهم وولى عليهم باسيل التقي الورع .

بعد ذلك اقتصت العدالةمنجبرائيل فصار يعذبه الترك بقساوة كذلك قام كثير من المسيحيين ، واخذوا ينتقمونمنه فضربوه وعذبوه واخذوا يذكروه بقتل المطران القديس والرؤساء المظلومين ، وبقية الفظائع التي كان يقترفها وبعد ان اشبعوه احتقارا وسقوه مرا اخذوه الى قلعة متمردة مقطوعة كانت امراته فيها ، فأمره الترك ان يقول لامراته ان تسلم القلعة فحاول القيام بحيله شيطانية ليضللهم فقال لها لك علامة ان ارسلت الفتى ميداس ، فاعطيهم القلعة ، لكن هذا الاسم في اللغة الارمنية يعني لاتعطي ، فلما عرف الترك انه يخدعهم قتلوه ورموه للكلاب فأكلته الكلاب .

اما الدانشمند فقد امر بإحضار الملك بوهيموند من سبسطية عام (١١٠٣) وقبض منه في ملطية مائة الف دينار ، وارسله الى انطاكية فولى عليها ابن اخته ، اما هو فرجع الى بلاده وهناك انجب ابنا دعاه باسمه ، وقد خرج هذا بعد زمان قليل وتملك على انطاكية .

مجمـــــــل احـــــــــداث ١٤١٢ ـ ١٤٢٥
يونانية ١١٠١ ـ ١١١٢ م

فيما مضى كان يملك في خراسان الترك اما في بلاد اثور والجزيرة ومابين النهرين فكان التـرك مختلطين مـع العـرب الذين رجعـوا وضبطوا هذه الاماكن .

اما في مصر فكان العرب المسيطرون ، لكن لما اندلعت الحـرب في خراسان كانت هذه الحرب بين الاتراك ولذلك قويت شـوكة العـرب وفي سنة ١٤١٢ يونانية خرج ابن ملاعب العربي مـن حمص واخـذ أوفيمية (افاميا) .

وفي تلك السـنة ملك على دمشـق دُقـاق الغُـزّي وملك على حلب رضوان بن الملك الغزي .

وفي سنة ١٤٢٠ اخذ عمر بن سالم العـربي سـوكره وصـابوره واشتعلت الحروب بين الترك والعرب .

اما الترك الذين في كبدوكية والبيتونية فلم يكن بينهـم احـد مـن العرب لانه كان قد انطفأ كليا حكم العرب من هذه المناطـق بسـبب قتالهم مع اليونانيين ومع بعضهم بعضا .

ومات بسبسطية دانشمند بعـدما ملك ملطية لمدة عامين ، فـأقبل بعد ذلك السلطان قلج ارسلان الى ملطية وكان بهـا يغسـيان بـن دانشمند ، فنزل عليها في ٢٨ حـزيران وحـاربها حـربا شـعواء واقاموا المنجنقيات على البرج المجوف الواقع في الناحية الغربية من شرقي المدينة ، ولما علم الذي كان بهـا انه قـد دنت ان تـؤخذ طلب الامان وسلمها ، وتملكهـا قلج ارسـلان ودخـل ملطية في ٢ ايلول سنة ١٤١٧ يونانية .

في هذا الزمان وقع انشقاق بين الترك والعرب الذين في اثور ، لان سلطان خراسان غياث الدنيا ارسل رجلا اسمه ابو منصور جاولي لمجابهة الافرنج ، ولما وصل لبغداد توجه الى الموصل وكان بها في ذلك الزمان جكرميش ، لكن هذا لما سمع بزحف جاولي نحوه حصن المدنية وجهز عساكره للحرب ، واشتبك مع جاولي وانتصر عليه واعتقله وادخله الموصل موثقا لكن بعد ايام يسيره مات جكرميش فخرج جاولي وجمع عسكرا في بلاد صابورا ليعود الى المكان نفسه لان اهل الموصل اقاموا عليهم ابن جكرميش رئيسا ، لانهم خافوا ان لايستطيعوا الوقوف في وجه جاولي ، ولما سمعوا ان قلج ارسلان قد استقر بملطية ارسلوا يطلبون منه النجدة ويعطوه بالمقابل الموصل ولما سمع جاء وقطع الفرات ، وكان حكام مدائن مابين النهرين اتراكا من قبيلة ارتق حين سمعوا بمجيء السلطان خافوا وكلهم اتوا لخدمته :

ابن شافك من قلعة زياد وابراهيم من آمد وإلغازي من ماردين ، فلما نظر جاولي هؤلاء لم ينزل الى الموصل .

اما قلج ارسلان فقد دخل الموصل وحكمها ، اما جاولي فقد حكم على الرحبة ولما سمع السلطان اتى بعسكر عظيم وصار الحرب على نهر الخابور لكن وبفعل الاعداء وقع انشقاق بين عساكر السلطان فتركوه وهربوا،وبقي يحارب وقام في الحرب ببطولات عظيمة،اخيرا دخل في النهر ليجتازه لكن بسبب ثقل الحديد الذي يلبسه اختنق في النهر ومات .

وملك جاولي على الموصل وعلى نصيبين واخذ يضطهد اعداءه بقساوة،وجمع مالا كثيرا ورجع الى خراسان حينئذ غازي عم الذي نزل في ماردين واخذ مدينة نصيبين .

في سنة ١٤١٧ في اول جمعة من صيام الاربعين ظهر كوكب في المغرب وكان ذنبه باتجاه المشرق وبقيمن أول المساء حتى آخر الليل

المصاعب التي تزايدت في ملطية بعد موت السلطان

لما اتى خبر موت السلطان قلج ارسلان اقاموا بملطية ابنه الصغير الذي كان اسمه طغرل ارسلان،وصار مدبره رجل شيخ اسمه برميش وكان هناك رجل آخر اسمه ارسلان ،فاتفقت معه أم الصبي ان قتل برميش تتزوجه وهكذا كان ، لكنه صنع شرورا كثيرة بأهل المدينة فأخذ يجمع الذهب ، ثم أخذ يعتقل الجميع ليمضي الى بلاد الروم ولما عرفت به المرأة اتفقت مع ابنها وأمسكت بأرسلان ، وحبسته وظن الناس انه قتل وبعد سنة أخرجته وارسلته للسلطان،وكان لطغرل ارسلان ثلاثة بنين آخرين كبار هم : عرب ، وملكشاه ، ومسعود ، أما عرب فقد قتله الأمير إلغازي بن دانشمند،وتنصب ملكشاه سلطانا وأمسك اخاه مسعود وحبسه ودخل القسطنطينية عند الكيس الملك ، لكن رئيس عسكر ملكشاه مالبث ان عصى عليه فأخرج مسعود واتوا لعند الأمير غازي ابن دانشمند ونصبوا مسعود سلطانا ، ولما خرج ملكشاه من القسطنطينية وهو يحمل الذهب صنعوا له كمينا وأمسكوه وقلعوا عينيه ، ولما نظر الافرنج ان الترك يحاربون بعضهم بعضا اشتد ساعدهم،واتى بوهيموند واخذ ابلستين وبلاد جيحان وخضعت له كل بلاد ملطية ، حينئذ اجتمع بالرها جمع عظيم للاحتفال بالانتصار وقد بقوا اياما كثيرة يتخاصمون مع بعضهم بعضا لأجل قسمة المدن ، ولما طالت هذه المشاجرة اجتمع الترك لمهاجمتهم فخرج الأفرنج وهم مختلفون مع بعضهم حول قسمة البلاد ، ولما وصلوا الى حران خرج اهل حران لاستقبالهم واحضروا لهم المفاتيح لكن بلدوين حاكم الرها لم يأخذها لأن حران كانت حصته ، وقدر انهم اذا دخلوها اولا فسينهبونها ويقتلوا شعبها ، فتركوها وهم مختلفون خصوصا لأنهم لم يدخلوا حران ، فلما التقى بهم الترك وحدثت معركة انكسر فيها الأفرنج واسر الأتراك بلدوين وجوسلين واخذوهما للموصل،أما تنكرد فقد هرب للرها ووضع بها شرد

رئيسا ، هذا صار في سنة ١٤١٤ على نهر البليخ الخارج من فدان آرام (٢) ، والذي هو اليوم مسجد للعرب ، ويدعونه بيت ابراهيم ويجري ليختلط مع الفرات عند قالينيقوس،أما تنكرد فقد ترك الرها بيد شرد وقد ابتلى هذا الرهاويين بشرور كثيرة ومضى لانطاكية ولم يكن يريد خلاص جوسلين بسبب الفتنة التي صارت بينهم،لكن اناسا من تل باشر تبرعوا ان يجلسوا في السجن رهنا ليخرج جوسلين ويحضر الذهب،غير ان أولئك المسجونين كسروا البيت المحبوسين به وهربوا وخلص جوسلين دون ان يدفع دراهم ، أما بلدوين فقد كان غرضه سبعين الف دينار ، فأخذ جوسلين ثلاثين الف ومضى الى قلعة جعبر وجلس هو رهنا على الباقي ، فأخرج بلدوين ، ولماسمع سلطان الموصل ان جوسلين سلم نفسه ليدخل السجن تعجب وطلب ان يراه لأنه لم يره من قبل وانما سمع عن حسن قامته ، فمضى جوسلين الى الموصل ، ولما راه السلطان حذف من جزية بلدوين عشرة الاف ، فسجد جوسلين ووضع وجهه على الارض،حينئذ ولأجل هذه السجدة ترك عشرة الاف أخرى ايضا ، ثم ارسلوا وابتهجوا ، وخرج في الصباح السلطان مع عسكره فأمر ان يركب جوسلين فركب وحمل سلاحه ، ولما نظر السلطان حسن جوسلين وقوته تعجب هو وكل الشعب ، فسمح له بكل ماتبقى من غرامة بلدوين ، ولما خرج بلدوين من السجن صعد ليصلي بالقدس ، وحين وصل وجد أنه في يوم الأربعاء الذي يتقدم على عيد الشعانين .

وفي تلك السنة التي هي ١٤٢٨ كان قد وقع بلدوين الملك عن فرسه ، ولما علم انه سيموت أمر أن يصير ملك مكانه بلدوين هذا حاكم الرها الذي هو ابن اخته ، وكان قد وصل فجأة وبدون معرفة بما جرى ، فعرف ان الرب قد اختاره ففرح به الجميع ، ونصب يوم الثلاثاء الذي يتقدم على يوم الجمعة العظيمة في ٩ نيسان ، ولما صار ملك اعطى الرها لجوسلين الشجاع الجبار .

وفي هذه الأيام اتفق بعض الأرمن مع الأتراك عندما رأوا أن

الاتراك قد سبوا بلاد الرها ووصلوا الى السور ووقفوا ، فـادخلهم هؤلاء الأرمن بأحد الأبـراج لأن الأرمـن ظنوا بـأن التـرك يأخذوها ، لأنه ليس لها رئيس لكن الله تعالى صنع تـدبيرا فـوجد جوسلين ان الأتراك قد صعدوا الى راس البرج،فـدخل وحـده وكان يلبس درعا فقتل ثلاثين رجلا بالسيف فـوقع الذين كانوا يتسـلقون عليها وتكسروا وهكذا نجت المدينة ٠

قبل هذا الزمان أي في سنة ١٤٢١ خـرج مـن خـراسان رئيس للجيش اسمه مودود ومعه مائة الف ، وحل على الرها ثلاثة أشـهر، فأجتمع الأفرنج ليهاجموه فتركها الترك وهربوا ٠

كمل هذا ايضا بعون الرب صلوا علي ٠

في سنة ١٤٢٩ تراءى في بلاد جيحـان نور في نصـف الليل كنور الشمس وبقي نحو ثلاث ساعات ، وفي الرابع من نيسـان مـن تلك السنة حدث،ظلام على وجه الأرض ، وغطى قرص الشمس نوع من الرماد من اول ساعات الصباح وحتى ثالث ساعة ، ومن ثالث ساعة الى الساعة العاشرة اضاء قليلا قـرص الشـمس ثـم انظلم ثـلاث ساعات اخرى من النهار ، ثم صار قرصا مثل النارولم تعد للضـياء، وبقي هذا الظلام اثني عشر يوما .

في ٢٥ من أيار اظلمت ثلاث سـاعات،وفي أول حـزيران تـراءى كوكب بذنب،وذنبه كان كالرمح ممتـد لناحية المشرق،وبقـي خمسـة عشر يوما وكل يوم كان يمشي للأمام ، وفي تلك السنة في شهر ايلول حدث زلزال شديد،وتهدمت اماكن كثيرة .

انخساف مرعش بالزلزال

في سنة ١٤٢٥ في ٢٩ تشرين الثاني ليلة الأحد ارتجت الأرض، وصار زلزال قوي جدا وقد غارت مدينة مرعش كليا وانقلبت اساساتها وابنيتها وصارت قبرا لسكانها ، وقد انهارت بهذا الزلزال بيعة ماريوحنا في كيسوم ، وبيعة الأربعين شهيدا،وبإدارة ماريونوسيوس اسقف كيسوم اعيد بنيانها ، وايضا سقطت شميشاط بهذا الزلزال واختنق بها كثيرون ، ومن جملتهم قسطنطين صاحب قلعة جرجر،وتهدمت في جميع المدن والقرى اماكن كثيرة .

وفي سنة ١٤٢٧ اتى ضباب معتم ومظلم وحدثت زوبعة هدمت ابنية وقلعت صخورا وقلبت الأشجار،كذلك صار في الرها سيل وثقب السكر المدعو سكر أوف الرسول .

وفي هذا الزمان جلب ابن جالبي عين ماء الرها .

خبر اخوانية الرهبان الفرنج المدعويين داوية

وفي اول عهد مملكة بلدوين الثاني ملك القدس (١١١٨) خرج من رومية رجل فرنجي اسمه دفزين في ثلاثين فارسا من الأخوة الرهبان يريدون الحج الى القدس ، وعاهد ذلك الرجل نفسه انه لن يعود في اصحابه الى وطنه الا بعد ان يساعد ملك بيت المقدس مدة ثلاث سنوات في جميع المواقع الحربية،وانه اذا وفقه الله تعالى في بغيته عكف بقية حياته على اعمال الرهبنة في المدينة المقدسة ، فلما وصلوا الى القدس واكملوا الفروض الدينية اخذوا يختلفون الى المعارك الحربية،فابلوا بلاء حسنا مدة الأعوام الثلاثة .

على أن بلدوين الملك وارباب دولته لما راوا ماهم عليه من البسالة والشجاعة اشاروا عليهم ان يستخدموا في الجندية ليصونوا الأراضي المقدسة من هجمات الأعداء ، ويعدلوا عن الانقطاع الى احد الديرة ، فأجاب ذلك الرئيس ورهبانه الى مشورتهم فخصصوا بيت سليمان الملك لاقامتهم وعينوا لهم بعض القرى لمعيشتهم ، وتكرم عليهم البطريرك بشيء من ريع الأوقاف الكنسية .

بناء عليه ابرم اولئك الرهبان عهدا على نفوسهم امام الله ، ان يسيروا سيرة الرهبان،وقرروا انهم لن يتشبثوا بزواج ، ولايختلفون الى حمام ولايستبدون بملك او عقار بل يجعلون اموالهم باسرها عمومية مشاعة ، ومامر القليل من الزمن حتى اشتهروا شهرة عظيمة وضاع شذا اعمالهم المجيدة في جميع البلاد القريبة والسحيقة،واقبل الملوك وابناء السلاطين والعظماء والعوام وانخرطوا في سلكهم واتخذوا معهم إتحادا اخويا روحيا ، وكان كل من ينضم اليهم يتنازل لهم عما ملكته يداه من المال ، فأزدادوا في برهة من الزمان ونموا نموا عجيبا واستولوا على أمكنة شتى في فلسطين وايطاليا ورومية ، وانشأوا لهم قوانين وضوابط حتموا ان يقوموا بها .

وكانوا اذا قصدهم احد للانضمام في سلكهم اضطروه ان ينزوي في قلايته سنة كاملة يعمل الروية في مانواه ، وكانوا يتلون عليه تلك القوانين سبع مرات،ويقولون له في كل مرة احذر وانتبه لئلا تندم فيما بعد او يتعذر عليك الثبات حتى النهاية في حفظ هذه القوانين ، والا فالخليق بك ان تطلعنا على مكنونات قلبك وتعود الى بيتك .

وكانوا اذا وافق احد على تلك القوانين ورضي بها طوعا ونذر ان يحفظها ويعمل بها صلوا عليه ووشحوه بثوبهم ، واذا اتفق فنكث احدهم وخالف نذره ضربوه بالسيف واستعملوا قتله .

اما قانونهم فكان يشتمل على عدة بنود : اخصها انه لايجوز لكائن من كان منهم ان يملك شيئا خصوصيا لابيتا ولاذهبا ولاقناعا ، وان لايذهب الى اي محل كان دون اذن الرئيس ، ولا يرقد الا في بيت الرهبان ، ولايأكل على مائدة العوام ، وان يذهب طوعا الى حيث يؤمر مهما كلفة ذلك من المشقة ، ولو افضى به ذلك الى الموت ، ويلزمه ايضا ان يوفيبنذره هذا فيخدم في الجندية حبا للدين حتى الممات .

وكان اذا توفي احدهم اقام له كل فرد منهم اربعين قداسا، واطعموا لاجله اربعين مسكينا مدة اربعين يوما ، وذكروا اسمه في قداساتهم على مدى الأزمان ، واعتبروا من مات منهم في ساحة الحرب شهيدا ، اما من كان يخفي عنهم شيئا ويحتفظ به لنفسه فكانوا لايحتفلون بدفنه ، وكانت ثيابهم جميعا بيضاء بسيطة لايجوز لهم ان يتزينوا بزي اخر ، وكانوا اذا رقدوا رقدوا لابسين ثوبهم الرهباني وزنارهم .

وكانوا،يأكلون اللحم ايام الاحد والثلاثاء والخميس ، وكانوا يقتصرون في سائر الأيام على اكل الحليب والبيض والجبن ، وكانوا يشربون الخمر يوميا وقت الغذاء فقط ، اما قساوستهم وشمامستهم فكانوا يمارسون الصلوات والطقوس في الكنائس ، وكان قوادهم وضباطهم وفرسانهم يصلون صلواتهم وهم مزاولون مناصبهم الجندية ، وكان رجالتهم يقضون فروضهم

الدينية وهم في ساحة الوغى ، أما الصناع والفلاحون فكانوا يمارسون فروضهم وقت العمل،وابتنوا لهم في كل مدينة وقرية بيتا خصوصيا يتولى شؤونه رئيس ومدبر يأتمر كل من فيه بأمر ذلك الرئيس ونهيه ، أما رئيسهم العام فكان يسكن في القدس وكانت اوامره تشمل الجميع على حد سواء ، ولم يكن له ان يتمتع ويتفرد بشيء خاص اصلا ، واتصف هؤلاء الرهبان خصوصا بأعمال الرحمة فكانوا يوزعون على المساكين عامة عشر مايصيبهم من الغلال كالقمح والخمر وغيرهما ، وكانوا كلما خبزوا خبزا في احد ديرتهم أو بيوتهم وزعوا على الفقراء عشره مع كل ما كان يفضل من طعامهم . وكانوا يوزعون ايضا خبزا وخمرا على المساكين مرتين في الاسبوع.

وفي عنفوان امرهم اخذوا يتولون حراسة الجنود أثناء اختلافهم الى تأدية فروض العبادة والصلاة وقت خمود نيران المعارك ، ثم اخذوا يخرجون مع ملوكهم لمحاربة الترك فنموا نموا عجيبا حتى بلغوا مائة الف راهب ، وامتلكوا قلاعا وحصونا منيعة في جميع البلاد التى احتلها المسيحيون ، وازدادت لديهم الأرزاق والأملاك والأسلحة ، وتوفرت عندهم القطعان والغنم والبقر والخنازير والجمال والخيل أكثر من جميع الملوك ، وعلى الرغم من كثرة أملاكهم كانوا زاهدين متجردين كأنهم لا يملكون شيئا البته ، وكانوا يعتبرون ويحبون على حد سواء كل من امن بالصليب وسجد له.

وانشأوا في جميع الأماكن التي شغلوها ولا سيما في القدس مستشفيات أو ملاجىء للمرضى أقاموا فيها خداما يعتنون بهم ويسهرون على شفائهم. فكانوا ينقلون اليها كل غريب أصيب بمرض ويعالجونه حتى يصح. فاذا تعافى اعطوه زادا وسرحوه بسلام واذا توفي شيعوه باكرام (٣)

واتفق لهؤلاء الأخوة الرهبان الداوية انهم حين حدوث المجاعة الشديدة في القدس واصلوا توزيع الخبز على المساكين كمالوف

عاداتهم الحميدة حتى كادت تنتهي مؤونتهم وتفرغ اهراؤهم. فأبلغ الوكلاء رؤساءهم ومديريهم وسألوهم أن يشرفوا على تلك المخازن استدراكا للخطر ، فيروا بأم عينهم ما تبقى فيها من الذخائر الزهيدة،فعقدوا مجمعا وتفاوضوا في ذلك الأمر الخطير فقالوا :إننا إذا حرمنا المساكين ما يبقى لدينا من المؤن فلا تعود تكفي لنا ايضا ، فالأجدر أن نواصل التوزيع كعادتنا اذ اننا مساكين ويلزمنا ان نحاكي المساكين في شدتهم إن جاعوا جعنا معهم ، وان ماتوا متنا معهم . وبعد أن أبدوا اتفاقهم هذا واثبتوه جميعا ثابروا على التوزيع كعادتهم فتعهدهم الله بغزير مراحمه كما تعهد الوف الجياع في القفر وأشبعهم بقليل من الأرغفة ، على أن الوكلاء تفقدوا الأهراءات يومئذ فالفوها مشحونة بالقمح والشعير والخمر وسائر الحبوب ، وذاع أمر تلك الاعجوبة الباهرة في جميع البلدان. وحمد الله تعالى كل انسان

وفاة تنكرد

في سنة ١٤٢٥ مات تنكرد حاكم انطاكية وملك بعده ابن اخته روجيل وقد كسر هذا برسق التركي وكان ذلك في ٢٦ ايلول من تلك السنة.

وفي السنة عينها كان تركي يتولى قلعة زياد فمضى وسبى سكان البلد وباعهم عبيدا.

كذلك ابراهيم سبى بلاد عرقة وامتلات ملطية أسرى ، حينئذ اظهر المؤمنين حرارة الأمانة فخلصوا الجميع.

(أحوال الأرمن)

كان امراء الأرمن يتولون بعض الجبال والقلاع والمدن في بلاد الجزيرة وقليقية ، وكان الفرنج تارة والروم طورا يستعملونهم عليها ، وكانت امراة باسيل يومئذ تتولى سميساط ومرعش وكيسوم،وتحت امرتها عدد كبير من الفرسان والمشاة،وكانت تدفع لكل فارس اثني عشر دينارا ذهبيا في الشهر ، ولكل جندي من المشاة ثلاثة دنانير ذهبية ، وكان أولاد قسطنطين بن روبين في قليقيه وميخائيل واوهنس في جرجر. وباسيل اللص في رعبان وكيسوم وقلعة الروم ، وقسطنطين وتبتوغ وبيستفور ابناء سنبل في سميساط ، وكان ابناء سنبل سريانا مخالفين لباسيل اللص، وباسيل الفتى الذي تربى عند امراة كوغ يبغض السريان بغضا شديدا ، فاحتل الدير المعروف بدير الأحمر عند كيسوم ، وكان هذا الدير لجماعتنا منذ اجيال بعيدة ، فطرد الرهبان وولى عليه غريغوريوس الجاثليق ، ونفى رهبان دير حصن عرنيش وانزل بهم الوان العذاب ، واقام فيه الحراس والعسكر فلم يتيسر للفرنج أن يتغلبوا عليه فزوجوه امراة افرنجية يقال لها كلاماري فأماتته مسموما.

وما دمنا سردنا أخبار الأحداث حسب تسلسل السنين دعونا نوضح انه في سنة ١٤٢٣ استولى اتابك سلطان ملطية على بلاد جيحان من الافرنج.

وفي سنة ١٤٢٤ خرجت امراة قلج ارسلان من ملطية وتركت أولادها عند اتابكهم،ومضت الى بلك امير بابولا وقالت له : إني سمعت السلطان يقول ان ليس بين امراء الترك في هذه البلاد مثل بلك رجلا جبارا وحكيما ، ولهذا السبب وثقت به وبوساطته حفظت مكانتي وهو عظيم جدا .

ولما رجعت خاتون من عند بلك طردت الاتابك وجلست هي وابنها بالقلعة حينئذ تضايق ذلك التركي الذي في قلعة زياد فباعها لسلطان ملطية ، واخذ عوضها ذهبا واماكنا ، ولما دخل رجال سلطان ملطية الى القلعة قدم نحوهم ابن سلطان خراسان فجأة بجيش عظيم ، فسلموا حصن زياد هذا لابن سلطان خراسان دون حرب، وللحال تم الصلح.

وفي سنة ١٤٢٩ أغار أمير منبج وحاكم قامح على بلاد ملطية في ١٥ اذار فنهب وسبى ، فأرسلت خاتون ملكه ملطية الى جوسلين حاكم الرها واقامت معه صلحا لكي يساعدها.

وتوفي في سنة ١٤٢٨ يونانية(١١١٧ م) الخليفة المستظهر ، وفي شهر آب في هذا العام توفي ايضا الكيس ملك الروم ذلك الحكيم الجبار،وهو بحكمته نجى مدينتهم من الأفرنج ومن القوفيين والصربيين والبلاكيين ، وقد جاهد ضد كل هؤلاء وحفظ مملكته ودبرها بالاستقامة تسع وعشرين سنة ، ثم ملك بعده ابنه يوحنا في سنة ١٤٢٩، فتآمر عليه اخوه واخته وامه فوضع اخوه واخته في السجن وجعل أمه راهبة،وعندها استتبت له المملكة.

في تشرين الأول عام ١٤٠٦ توفي اغناطيوس المؤرخ مطران ملطية ورسم عوضا عنه مار أثناسيوس سعيد بن الصابوني المتبحر بالعلم والكاتب الماهر في خطنا السرياني هذا والخط اليوناني ، وقد ارتسم في عيد الصعود في تلك السنة في قان قرن بنواحي آمد ودعي يوحنا ، ولأن انتخابه تم بموافقة جبرائيل الحاكوز ، فقد دخل المدينة وهي محاصره من الترك ، وفي اليوم الذي دخلها أغلقت ابوابها و كان يحاصرها ويعزلها سلطان قونية قلج أرسلان ، فطلب جبرائيل من المطران أن يشترك مع الحراس في الحراسة ، فشرع يداوم على ذلك طوال العام بكل اخلاص.

ثم ارسل السلطان رسولا من عنده شماسا فقال للمطران وكان جبرائيل موجودا في المقابله :

يقول لكم السلطان أن تعطوه المدينة سلما وهو يعاهدكم بالأمن وسيغدق عليكم الخيرات ، والا فسوف يأخذها بحد السيف ، عندها فان الله سوف يطالبكم بدم كل الشعب،فأجاب المطران البار الشماس: لم يستطع احد أن يأخذ هذه المدينة بالحرب منذ القدم وحتى الآن ، وإن فيها خبزا لعشر سنوات واكثر ، ثم اطلق الشماس ، لكن جبرائيل التفت الى المطران البار وقال :اسمع منى ياسيدي انه لخير لنا أن نسلم المدينة بأراد تنا ، لكن المطران البارحين سمع ذلك رفض ، فابتدأ جبرائيل يبغض المطران. اما اليونانيين فأخذوا يحتقرون كثيرا هذا البار لأنه كان يخزي الأفرنج في تعليمه ، وكانوا يتهمونه بأنه يريد أن يسلم المدينة للترك ، وصدف أن كان البار على السور يوم الجمعة يحرس وأثناء خدمة ثالث ساعة اخذ يتكلم بين الشعب بكل محبة ووداعة ، وكان الشعب يلتف حوله فاغتاظ جبرائيل واليونانيون من محبة الشعب له والتفافهم حوله ، ففكروا أن يقتلوه ، ولما نزل عن السور قالوا له : إن جبرائيل قد أمر أن يقتل رجل مؤمن بحد السيف ، فذهب اليه ليلا ليتشفع لذلك المظلوم عنده ، فوجد جبرائيل الأثيم على فرس خارجا بين السورين وحوله جنود فأخذ يتضرع له المطران البار قائلا : اشفق على المساكين ، من الخارج قتل ، ومن الداخل قتل ايضا،لكن المنافق ملكونه نوى أن يقتل المطران البار ، فقال وانت يا كذا وكذا تريد أن تسلم المدينة للترك ، حينئذ قال لأحد الجنود ، وكان يحمل حربة :إضربه فلم يتجرأ ، فأخذ الحربة بيده وضرب بها البار على راسه فقتله ، وكان ذلك يوم الجمعة في تموز سنة ١٤٠٦، اما القساوسة الذين كانوا هناك فقد هربوا وتبددوا وضجت المدينة كلها واجتمعت الجموع حيث استشهد البار ، اما جبرائيل القاتل فقد خاف لما رأى هذا الجمع الحاشد فأصر على أن يدخلوا البار الى البستان ويخفوه بين القصب ، وبعد يومين سجي جسده في بيعه الساعي الكبيرة.

فاما البطريرك اثناسيوس لكونه لم يقدر أن يدبر امور البيعة بسبب تدخل عبدون المتمرد فقد سافر الى بغداد وقابل الخليفة ابو

جعفر عبد الله القائم بالله ، وأحضر منه كتابا الى كل الحكام وولاه المملكة في أثور والجزيرة وبين النهرين وكل سورية كبدوكيه والى العرب والترك يأمر أن يقبل اثناسيوس ويعزل عبدون.

عبدون المتمرد رسم أربعة اساقفه هم: اياونيس اسقف تلمحرون الذي اكلته الكلاب ، وابدوخوس اسقف عرقه الذي طرد وصار هرطقيا،وايجنا اسقف ماردين الذي انقبل بالتوبة ، وابن كوريزا الذي اسلم في آمد.

obeikandl.com

أخبار البيعة في هذا الزمان

بعد ان رجع البطريرك من بغداد بفترة قليلة توفي عبدون العاصي في حصن منصور ، فأمر ان يقبر امام باب البيعة لكي يدوسه كل من يدخل اليها ، لأنه أخطأ بحق بيعة الرب ، فأما البطريرك ماراثناسيوس فقد جمع الأساقفة وصنع له جنازا وصلاة للغفران وقد قال : صحيح انه أحب الرئاسة وداس القوانين المقدسة لأجل ذلك ، لكنه لم ينحرف عن الأمانة المستقيمة المجد ، فيجب أن نصلي له ليرحمه الرب ويرحم كل خاطىء .

وبعد ان قتل سعيد بن صابوني وخرب الأتراك المدينة ادخل البطرك ديونيسيوس اسقف غوبوس ابن المعترف واقامه مطرانا لملطية ، لأنه كان معلما وحكيما وذلك في اول كانون الأول عام ١٤١٣ ، وكان ديونيسيوس الذي أدخل الى ملطية قد تتلمذ في دير ابن جاجي عند مار يوحنا البطريرك ابن شوشن ، ثم ارتسم اسقف لغوبوس ، ولما خربت بلاد غوبوس اثناء الخروج الأول للترك اتى هذا الى دير مار برصوم حيث نظم الدير ورتب الخدمة كما كانت في دير ابن جاجي ، وفي شيخوخته رسمه البطريرك على كرسي ملطية ، فلما وجدها فقيرة في العلم اهتم بها ، وجدد بها التعليم ، وكان يعلم في العهدين القديم والجديد ، وكتب المعلمين الأوائل ، وكذلك كان يعلم الكتابة ، وبعد هذا رسم البطريرك مطرانا للرها ابو غالب ابن صابوني أخو سعيد الذي قتل في ملطية ، لأن هذين الأخوين كانا مشهورين بالعلوم الكنسية ، وفي المعارف الخارجية وفي الكتابة باللغتين ، وبالجدال ضد الهراطقة ، وبالاختصار كانا المع كل أفراد جيلهم من المستقيمين المجد . وكان سعيد الذي ارتسم لملطية قد دعي يوحنا ، لكن بعد اربعين يوما من رسامته قتله جبرائيل بملطية كما أوضحنا من قبل .

وأبو غالب الذي رسم مطرانا للرهـا دعي بـاسيليوس لكن قبـل كمال الأربعين يوم حدثت مشاجرة بينه وَبين البطريرك فحرمه وبقي بعيدا عن الخدمة لكونه قام في وجه البـطريرك ، لكن بسـبب هـذا الخصام صار انشقاق في البيعة كما سنوضح .

ولما ملك الافرنج انطاكية اخـرجوا اليونانيين مـن البيع الكبيرة وطردوا رؤساء كهنتهم ، واقاموا بطريركا مـن شـعبهم ووضـعوا مطارنة في طرسوس والمصـيصة والرهـا ومنبـج وافـاميا ، كذلك وضعوا مطارنة في طرابلس واللاذقية وجبلة وقورس ومرعش وحارم واقاموا لهم بطريركا في القدس ، ورسم اساقفة لبيت لحم ولحبرون والسامرة وليافا والناصرة وقيسارية وصيدا وبيروت ، ولما استولوا على صور رسم لصور اسقفا ايضا لأنهم لما طلبوا نفقة من بـطريرك انطاكية على رحيلها لم يعطهم ، وكان اسم اول مطران قام للفـرنج في الرها مبارك ، وقد تراءت له رؤيا حول جسدي آري وابجـر حيث وجدهما في صندوق ماريوحنا .

وخلال السنوات الثلاث التي حاصر بها الدانشمند ملطية حـدث بها جوع عظيم وبيعت حنطة الحاكم بدينار للمد .

وفي سنة ١٤١٣ تبلبل بدء صوم المسيحيين بملطية وفي البلاد كلها بما فيها القسـطنطينية فصـام السريان والأرمـن في ٨ شـباط، ووضعوا الفصح في ١٣ نيسان ، امـا الخلقيدنيين فصـنعوا العيد في ٢٦ نيسان ، ولما علموا ان النور قد فاض على القبر في القـدس في ١٣ نيسان صار اليونانيون يجدفوا على النور لأنه تطابق مع عيد السريان والأرمن .

وفي سنة ١٤١٤ في بدء الصوم ، أي في الأسبوع الأول من شهر شباط حدث زلزال كبير دام يوما في كل مكان ، وقال الجميع ربمـا صار هذا لأجل اختلاف المسيحيين حتى في الصوم ، وهذا دلالة على غضب الرب.

فصل ثان عن أخبار البيعة

يارب اعن لما اخذ الافرنج فلسطين اخرجوا منها المصريين واتوا الى حبرون جيث بنوا هيكلا مجيدا ، كذلك انوجدت مغارة المضاعفة التي اشتراها ابراهيم ، وكان بها ثلاثة قبور للآباء فزينوها ببنيان عجيب .

اما سبب الخلاف الذي صار بهذا الزمان في بيعتنا فكان ان لما ارتسم ابن صابوني مطرانا للرها طلب البطريرك منه ومن الرهاويين الأناجيل التي كانت في خزانة البطركية ، لكن لما وقعت بيد عبدون العاصي وضعها رهنا بالرها ، واخذ ذهبا ورشى الحكام في ذلك الزمان ، فلما طالبه البطريرك وعد ابو غالب مع الرهاويين الذين حضروا رسامته انهم بمجرد رجوعهم الى الرها سيرسلون هذه الكتب المصفحة بالفضة والذهب ، وقد كتب ابن صابوني تعهدا بيده انه ان لم يرسلها فلن يكون له سلطان أن يخدم رئاسة الكهنوت ، ولما ارتسم ومضى رفض ان يعطيها ، وكان يحتج بأن اكابر الرها منعوه أن يعطيها ولهذا السبب زرعت بذور الفتنة وحرم البطريرك ابن صابوني قائلا : كما وكتبت بيديك فأنت محروم وليس لك سلطان لأن تخدم ، أو تدعى رئيس كهنة اما هو فقال : ان هذا الحرمان لايسري عليه لأنه ليس بارادته أمسك الكتب .

واما الرهاويون فصاروا فرقتين منهم من كان مع البطريرك وضد المطران ومنهم من كان مع المطران ويشجعه على التمرد ، حتى انه تجرأ ورسم قساوسة وشمامسة وهو محروم ، حينئذ صار اضطراب بكل البيعة وخاصة بالرها ، وكان حاكمها الفرنجي يساعد المطران وقد ارسل مرارا كثيرة القساوسة ، واكابر المدينة ومعهم اناس من الأفرنج ليطلبوا من البطريرك ان يحل حرمانه فلم يقبل ، ثم أتى أيضا مطران ملطية ماريوذسيوس ومعه سبعين

رجلا مؤمنين الى البطريرك في دير ماربرصوما وخروا على وجوههم امام رجلية وقالوا : مانرفع وجوهنا عن الأرض حتى تحل حرمان مطران الرها ، ولم يقبل وبعد هذا اجتمع الأساقفة كلهم وسألوا البطريرك ان يعيده الى حظيرة الكنيسة وأجابهم قائلا : في نيسان تعالوا جميعكم ويأتي هو ايضا وعندها يصير الحل ، وبهذه الحجة ارسلهم فارغين ولم يجمع مجمعا ليغفر لابن صابوني ، بل عزل الشيخ ابن المعترف من رعاية ملطية لكونه كان يدافع عن ابن صابوني ، وقد خدم المطران ديونسيوس رئاسة الكهنوت بملطية اثنتي عشرة سنة وعلم ورتب ووضع بها عادات مستقيمة ، وأغناها بالعلوم التي مازالت الى اليوم يعلمون بها بعد ان تسلسلت من جيل الى جيل ، ولما أخرجه منها البطريرك بقي وحيدا ، أما السبب الذي لأجله لم يجمع البطريرك مجمعا كما وعد فهو انه لما خرجوا من عنده مشككين لعدم قبول طلبهم،كتب ديونسيوس مطران ملطية وطيماثاوس اسقف قليسورية وديونيس اسقف جيحان وقرروا ان عقد البطريرك مجمع كما وعد فسيشهدوا ان ابن الصابوني مظلوم ، وان لم يصنع جمعا فان ابن الصابوني سيكون ايضا محلولا من حرمانه ، فلما سمع البطريرك اغتاظ جدا خصوصا من المطاردين ، ولم يجمع جمعا بل وأخذ ملطية من غوبوس ابن المعترف ودعا اليشع راعي دير البارد ورسمه عليها ، ودعاه اياونيس فوصل اليها في تشرين الثاني ١٤٢٥، ثم طلب منه الحاكم ذهبا فدفعت عنه اهل المدينة مائتي دينار وقبلوه عندهم ، وأخيرا لما احسوا انه يحب معاقرة الخمر احتقره جميع الناس ونبذوه

حروب الأمير ايلغازي بن أرتق

وفي سنة ١٤٣٠ في شهر ايار جمع الأمير غازي ابن دانشمند (٤) سبعة الاف من الترك ودخل الى بلاد انطاكية فخرج الى لقائهم رجيز صاحب انطاكية مع رجال كثيرين ، فكمن لهم الأتراك ووقع الأفرنج في الكمين فأحاط بهم وقتل كثيرا منهم ، وقد قتل غازي بن دانشمند رجيز صاحب انطاكية وسبى الترك البلاد ، واحتلوا كثيرا من القلاع ، وقتلوا جملة من الرهبان في الجبل الأسود ، وبقي الأتراك ايام كثيرة في تلك البلاد ، وقد صنعوا قطاعات مروعة ، وحين سمع بلدوني ملك القدس اتى ، فلما سمع الترك بان الملك قادم كمنوا له ايضا،لكن الملك اكتشف الترك ، وطاردهم وكسرهم لكن الذين كانوا يكمنون من الخلف انقضوا على العساكر الرجالة وقتلوا كثيرين منهم الى أن احس الملك ، فكر عليهم وقتل الذين كانوا يكمنون كليا ، ثم طارد غازي فهرب مع الترك ، فذهب بعضهم الى حلب وبعضهم الآخر مع غازي ، وقد لحقت بالترك ضربة عظيمة .

وفي ذلك اليوم خلص الأفرنج الذين نجوا من القتل خلصوا الأسرى الذين سباهم الأتراك في البلاد ، ودخلوا مع الملك الى مدينة انطاكية .

وفي تلك السنة تملك سلطان ملطية ضيع بلاد جيحان وابلستين .

وفي شباط من تلك السنة سبى الأفرنج بلاد جرجر ، واما اليونانيون فقد اصطفوا على ساحل البحر مقابل الترك مدة شهرين ثم عادوا دون حرب .

وغزا سلطان ملطية مع ملك بلدة قماح ، فهرب صاحب تلك البلاد ابن قلج ارسلان الى طرابزون ، والتجأ لليونانيين فاتى معه

جيراس ، ثم ان بلك وسلطان ملطية غازي بن دانشمند اتفقا ، ولما صارت الحرب انكسر اليونانيون واسر جيراس وابن قلج ارسلان ، فبيع جيراس بثلاثين الف دينار ، اما ابن قلج ارسلان فخلصه غازي لأنه كان ختنه،وبهذا صارت عداوة بين السلطان من جهة وبلك وغازي من جهة ثانية .

وخرج يوحنا ملك اليونانيين في تلك السنة واخذ ثلاث قلاع من الترك .

وجمع غازي عسكرا ، ودخل الى بلاد الرها واحرق الغلال واذ لم يجد عساكر تمنعه او تصدمه تابع سيره الى بلاد انطاكية وسبى ورجع الى بلاده وتملك بلك قلعة زياد والبلاد التي حولها ، وصارت ملطية تحت امره وكان يخيف كل الأمراء .

اما الأرمن الذين في جرجر فكانوا يخربون بلاده بالسرقة ، فأرسل الى ميخائيل الذي في جرجر يتعهد ان يعطيه كل سنة الف حمل حنطة ان كان يمنع الأرمن من السرقة ، واعطاه ثلاث قرى في بلاده فحلف ميخائيل عدة مرات لبلك لكنه لم يف بعهده ، وذات يوم بينما كان يرسل الحنطة هاجم لصوص ميخائيل واحرقوا قريتين بهنزيط ونهبوا كثيرا وقتلوا الترك الذين كانوا يرافقون ارسالية الحنطة وكانوا غير مسلحين معتمدين في ذلك على الصلح الذي صنعوه وعلى هدية الحنطة التي يرافقوها ، ولما علم بلك بما جرى غضب واحتال على الأرمن واصطادهم ، واهلكهم ، ففي الشتاء القاسي حيث كانت الجبال مملوءة بالثلج الكثير واهل جرجر قابعين لا يفكرون بشيء ولايضعون حراسا،عبر بلك على مياه الفرات المتجلدة الى جوباس ، وخدع اهل جرجر فأوهمهم بانه ماض الى ابعد من منطقتهم وسير امامه الوف الخيل الى جبل العسر المكني الشمعة ، وهكذا اندثر الثلج وسار العسكر وخلال يوم واحد وصلوا الى دير ماربرصوما ، وفي تلك الليلة عبروا جبل جرجر،وفي الصباح هجم بلك على البلدة الشقية وسباها،وكان ذلك يوم الأثنين في اول كانون الثاني

سنة ١٤٣٢ ، ولم ينج من ايادي الترك لابشر ولابهائم ، لقد حرقوا كل شيء وخرجوا ، وبقيت البلد خالية ، واما بلك فقد صنع رحمة كثيرة مع الشعب ، فلم يسمح أن يهلك منهم أحد ،ولم يجعلهم اسرى بل هم وبهائمهم وكل ما لهم حفظه لهم ،واعطاهم قرى واسكنهم في بلدة هنزيط وحلفهم أن لايرجعوا لجرجر ، اما من يهرب ويعود الى جرجر فانه متى اقبل مرة ثانية اليها فسوف يؤخذ عبدا ، وهكذا صار لأن بعد سنة اتى بلك لجرجر وقد أخذ كل الذين وجدهم عبيدا ، واحرق القرى والكروم والزيتون ثم اتى عليه جوسلين فهرب بلك للجبل فلم يقدر عليه الأفرنج فرجعوا ، اما هو فرجع الى بلده .

وفي سنة ١٤٣٣ ارسل سلطان خراسان مائة الف من العسكر ودخلوا الى بلاد الترك لكي يملكوا هناك ايضا،فسد عليهم ملك الأتراك المعابر من كل جانب وقتلهم كلهم بحد السيف .

وفي تلك السنة سبى جوسلين بلاد جوباس ، وفي تلك السنة ايضا قتل يوحنا ملك اليونانيين شعب القومنيين « الكومان »وصاروا عبيدا لليونانيين ، وقد كتب البار بسيلليوس مطران الرها عن القومنيين لأنه كان هناك ، فقال : لما اتى القومنيون الى القسطنطينية احتال الملك يوحنا وعقد معهم سلاما ، ولما اختلطوا ودخلوا المدائن والقسطنطينية اصدر الملك امرا بان يمسكوا بوقت واحد كل من يجدوه منهم اينما كان ، فأمسك منهم بمعسكر الملك نحو ثلاثة الاف ، وفي كل مدينة الذين وجدوا منهم ، وفي اليوم الذي امسكوا به مضى الملك وعساكره الى معسكرهم ، فاما هم فحسب عاداتهم فقد احاطوا معسكرهم بأبراج من خشب وصاروا يحاربون، فنزل الملك عن فرسه وأمر كل الفرسان ان ينزلوا عن مطاياهم ويحاربوا،وهكذا اشتد الحرب وقفزوا ودخلوا وقتلوا اكثرهم، وأمسكوا اكابرهم وغيرهم كثير،وجروهم عبيدا للقسطنطينية وصار هدوء عظيم في عهد هذا الملك بعد انتصاره على هؤلاء القومنيين.

اما القومنيون فهم جزء من الأتـراك ولسـانهم تـركي لكنهـم لأيؤمنوا بموسى أو بالمسيح أو بمحمـد او بـالأنبياء كافـة ، كانوا حيثما يذهبوا يأخذوا نساءهم واولادهم وبيوتهم معهم ويضعوهم في الأبراج الخشبية التي يصنعوها حول مقر سكنهم .

وبهذا الزمان صعدوا مـن شـاطىء نهـر بجيس واتـوا ليملكوا القسطنطينية الى ان كسرهم هـذا الملك كسرة عظيمـة،ومـن ثـم اصبحوا عبيدا في مملكة اليونانيين ٠

obeikandl.com

اسر بلك ملك بيت المقدس بلدوين

في سنة ١٤٣٤ دخل الأمير بلك الى بلاد انطاكية واجتمع الأفرنج لمقابلته وقد بقي الجيشان معسكران وجها لوجه مدة اربعة اشهر ثم تفرقوا بغير حرب .

فاما جوسلين الوالي لما توفيت امراته وهي ابنة رجير حاكم انطاكية،اراد ان يأخذها الى الرها فصنع له بلك كمينا في الطريق ، وامسكه وارسله لبولا وصار لبلك اسما كبيرا عند الأتراك ، فاجتمعت اليه الشعوب ودخل ايضا الى بلاد الأفرنج ، اما ميخائيل الأرمني الذي كان في جرجر فلما رأى الترك قد تسلطوا اعطى جرجر للملك واخذ له مكانا في بلاده فلما اخذ الملك جرجر ووضع محارس وجمع عساكره اتى ليطرد الترك من بلاد حصن منصور وكيسوم .

وحين كان الأفرنج متوجهون على نهر سنجة خرج عليهم فجأة بلك من كمين كان قد نصبه لهم،وخربوا معسكر الأفرنج وامسكوا الملك،وقتلوا الذين معه،وكذلك امسكوا جوسلين وغاليران ، وكان ذلك ليلة عيد الصليب كذلك اعتقلوا بلدوين الملك يوم الأربعاء جمعة البياض من تلك السنة ، ولما صار ملك القدس اسيرا وبقيت البلاد بغير رئيس او سيد اراد المصريون ان يملكوا القدس وباقي البلاد ، فأرسلوا جيشين واحدا في البر واخر في البحر ، اما جيش البر فقد انكسر وفقدوا جمالهم وكل اموالهم وادخلوها الى القدس ، وقد فرح الأفرنج ووقفوا للصلاة والصوم واحد وعشرين يوما .

أما الجيش الآخر والذي كان يبحر على ظهر السفن،فعندما وصل الى عكا،كان شعب البنادقة قد وصلوا في ذلك الوقت للزيارة،فلما

راوا العرب في البحر اصطفوا مع الأفرنج وحدثت معركة انتصر فيها الأفرنج ، حينئذ عادت الثقة لاهل القدس فهجموا على صور .

أما بلك فإنه لما أمسك ملك الأفرنج نزل على حصن منصور فأعطوه إياه صلحا ، لكن الترك القساة سبوا الشعب واحرقوا المدينة والبلاد ، حينئذ انسحب الأفرنج من جرجر ايضا ، فدخلها الترك أيضاءاما بلك فسجن الملك وجوسلين وباقي الأفرنج في قلعة زياد في قلب بئر عميق ، ونزل فاستولى على حران وحلب من العرب وتل باشر ، وثلاث قلاع أخرى من عرب الأفرنج ، حينئذ حدث تمرد عليه في قلعة زياد ، فأناس من الأرمن كانوا داخل القلعة يعملون في البناء ، ولما نظروا أن القلعة فارغة وليس فيها الا القليل من الحراس اجتمعوا عند الباب وصاروا يدمدمون لأجل اجرتهم ، ثم هجموا فجأة وحملوا السيوف التي كانت موضوعة عند الباب ، وقتلوا ثلاثة رجال من حراس الباب ، واخرجوا الملك وجوسلين والباقي ، وقتلوا العرب واستولوا على القلعة فاجتمع أهل المدينة وأخذوا يقاتلونهم ، حينئذ تحيل جوسلين وخرج ليلا برفقة رجل أرمني واقسم للملك أن يجمع عسكرا يعود لأنهم لم يستطيعوا لاأن يحافظوا على القلعة ، ولاان يأخذوا الملك معهم ، ولما مضى جوسلين وصل بلك ونصب أربع منجنيقات وهدم الأسوار ، حينئذ خرج الأفرنج وبعد ان عذبوهم بمرارة قتلوا منهم سبعين رجلاً ، ثم أخذ معه الملك وغالران ابن اخته ، ورجع عاجلا لأنه كان يريد ان يستولي على كل المسكونة ، ولما حل على مرعش أرسل المرعشيون يستنجدون بجوسلين ضد بلك مقابل ان يؤدوا له جزية ، فأتى جوسلين واشتبكوا في حرب من الصباح الى المساء ، فقتل حاكم كيسيوم المدعو مونيجوفري ، وقد كان هذا بعدما خرج من رومية راهبا ادى بطولات في القدس أثناء الحرب ، فصنعوه رئيسا للعسكر ، ولما تجول الملك ليحفظ البلاد أحضره واعطاه كيسوم ورعبان ومرعش ، وقد قتل بهذه الحرب فأوقفت المعارك ، وفي الصباح قام بلك وتقدم الى السور ليريهم اين يجب ان يضعوا المنجنيق فأتاه سهم من حارس كان يقف في أعلى

السور فأصاب منه مقتلا ، فهربت العساكر الى حلب واقامت لها رئيسا هو ابن عم بلك ، لكن هذا باع الملك بمائة الف دينار ، فرجع الملك بلدوين الى القدس ، ورجع بعض الأتراك الى قلعة زياد واقاموا لهم رئيسا اسمه سليمان رئيس اسرة الأراتقة .

من نظر خطأ في هذه الأسطر الذميمة فليصل لراحة كاتبها الكسلان .

في سنة ١٤٣١ يوم الخميس اول كانون الأخير صارت زلزلة صعبة دامت ثلاث ساعات وافسدت اماكن كثيرة .

بهذا الزمان صار جوع عظيم في القدس وكان أولئك الأخوان الذين يسمونهم داوية ـ اي الهيين ـ يعطون المساكين ويقدمون كعاداتهم بغير نقصان ، ولما قلت الغلة التي كانت موجودة ، ولم يبق سوى القليل قالوا فيما بينهم : إذا أوقفنا اطعام المساكين فان مابقي يكفينا ، ثم قرروا وقالوا لن نقطع عن المساكين شيئا بل نحن والمساكين نقتات سوية بما تبقى الى ان ينتهي ، وحينئذ نموت نحن والمساكين ، لكن الرب افتقدهم ، وهو الذي اشبع بالبرية من خبز قليل كثير من الناس ، فدخل فجأة الوكلاء لبيوت المخازن فوجدوها مملوءة بالحنطة والشعير والخمر والحبوب ، وانتشرت هذه الأعجوبة في كل البلاد،ليتمجد اسم الرب .

وفي اول كانون الثاني سنة ١٤٣١ سقطت نار في وسط القسطنطينية وافسدت عشرة الاف بيت وحانوت ، واتى الى ملطية جراد طيار واكل الزروع ، فأقاموا صلوات متصلة فلجت افواه الجراد ولم تعد تاكل شيئا ، فسلمت المزروعات،وبعد قليل خرج جراد ناعم واكل الأشجار والكروم لكنه في الحال اضمحل .

وفي هذه السنة غرقت مدينة بفارس اسمها اردبيل فجأة وصارت بحيرة ماء ، وكل سكانها اختنقوا بداخلها .

وفي سنة ١٤٣٢ صار شتاء قاسي أربعين يوما،وتجلدت مياه الفرات وباقي الأنهر وصار الناس يمشون على الأنهر .

وفي ٣٠ ايار من تلك السنة في ليلة الاثنين تراءى قوس كامل وهذا امر لم ير قط منذ اجيال ، واظن انه خارج عن الطبيعة او لعله فوق الطبيعة ، وكان يظهر كالقوس بالليل ، لأجل ذلك صار الأمر عجبا لكل من يشخص به ، ولكن كل شيء سهلا للقادر على كل شيء ، وهو كل مايشاء يصنع .

كمل هذا الخبر عن عجائب يصنعها الرب :

في سنة ١٤٣٣ في ١٨ كانون الأول صارت زلزلة اربع مرات بالليل وأربع مرات بالنهار ، وتشققت الصور في بلاد صمحا على شط الفرات ، وغرقت أماكن كثيرة ، وصارت قبورا لساكنيهم.

وفي سنة ١٤٣٤ صارت قلة في المطر وصار في كل موضع جوعا عظيما ، خصوصا في ناحية المشرق .

وفي تلك السنة ايضا وقعت نار بالقسطنطينية واحترقت فيها بيوت ودور وصار انكسار وانتصار ، أما لماذا هذا الأمر وكيف صار ، لاأحد يعرف علته الا ذلك الذي وجده عالم بكل شيء ، وهو يعرف بالصحيح وقد صار على الشكل التالي . فجأة ابتدأت تجتمع طيور الشامهرج،اي ابو الحودنج،من موضع وأخذت تلتأم ، وكذلك اجتمع الكراكي وصاروا مجموعتين على نهر تالاكوم وظلوا مجتمعين لمدة أيام كثيرة ، وأخيرا كما شهد كثيرون من الذين راوهم كانوا يرسلون مثل الرسل من معسكر لمعسكر خمسة او عشرة من الطيور،وبعدما تقاولوا كثيرا قفزوا بغتة وصرخ الجانبان صرخة عظيمة ، وصاروا يضربون بعضهم بعضا ويقتلون الواحد مع الآخر،والذين كانوا يضعفون كانوا يقعون ويموتون ، وهكذا سقط من الشامهرج ومن الكراكي الافا ، وتكوموا تلالا تلالا على الأرض، وقد دامت بينهم هذه الحرب العظيمة من ثالث ساعة من النهار الى تاسع ساعة ، وأخيرا انكسرت طيور الشامهرج واكثرهم ماتوا ، أما الذين بقيوا فقد هربوا ثم طار الكراكي في اثرهم فلحقوهم في اوكارهم ، ومات لهم صغارهم في الأعشاش .

مجمـــل الأحـــداث التـــي وقعـــت بين عامي ٥٠٠ ـ ٥١٦

هذا القسم فيه اخبار كان يجب ان تقدم لأنها مقتبسة من كتـاب تاريخي مكتوب بلغة عربية ويؤرخ بالسنة الهجرية القمـرية ، وقـد أدى هذا الى اختلاف في ترتيب الأعوام سببه الاختلاف بين الأعوام العربية القمرية،وبين الأعوام اليونانية الشمسية .

ومن هنا على القارىء ان يفهم ان الخبر المكتوب لاحقا حول نجم الدين الأرتقـي ، الذي ملك على حلب يجـب ان يكون متقـدما على اخبار بلك التى وردت مقدما ، لأنه بعد موت نجم الدين ملك بلك على حلب .

شروحات من كتـب عربية في اثـور وبـابل قـالت انه في سنة ٥٠٠ للعرب كان ابو العباس احمد المستظهر ، هو خليفة للعرب في بغداد ، وكان سلطان خراسان غياث الدنيا وقد قتل الاسـماعيلية وزيره المسمى ابو مـظفر (٥) وفي تلك السـنة قتـل الاسـماعيلية كوسدكين احد رجالات السلطان،فتحرك السلطان غياث الدنيا وقتل كل الاسماعيلية ، الذين كانوا من العرب ، لكنهم طـائفة لاتتبـع لا العرب ولا الترك لا بالايمان ولابالعوائد ، ويقـولون عن المسـيح انه هو الذي تنبأ عنه الأنبياء لكنه لم يصنع خلاصا لأن اليهود لما قاموا عليه ليقتلوه هرب الى السماء ، وهو مزمع ان يأتي وحينئذ يصـنع خلاصا ، اماعن محمد (ص) فيقولون أقـوالا سـمجة ولايقبلون القرآن،ويقدمون انفسهم للقتل بغير شفقة لكي ينتقموا من أعدائهـم، على رجاء الذي سيصير لهم في العالم الأخير

وفي سنة ٥٠٠ للعرب ملك سيف الدولة صدقة بن دبيس على العرب، فأخذ تكريت .

وبهذه السنة كان في تـــكريت ديلمـــي اســـمه قباذ بـــن هزارسب ، وكان ظالما شريرا وقد خرب مسجد العـرب الكبير الذي كان قريبا من القلعة ، ولما علا ضجيج العرب أخذ بيعه المسـيحيين الكبيرة واعطاها للعرب .

وفي سنة ١٤٣٣ أخذ الحسين بيعة تكريت الكبيرة البهية المدعوة بيعة الجرداء مع اثاثها ودورها وحوانيتها واعطـاها للعـرب ، ولما كثرت المصادمات بين المسيحيين والعـرب ارسـل السـلطان الكبير غياث الدين اميرا اسمة أق سنقر فتحارب مع تكريت سـبعة اشـهر، ولما تضايق حاكمها سلمها لصدقة ملك العرب وخرج منها،وبعد اربعة عشر يوما مات ، ولما سمع السلطان غياث الدين ان صدقة بن دبيس قد تملك على تكريت وتمرد عليه ، جمع عسـاكر الاتـراك وزحـف ضده ،

حينئذ جمع صدقة عساكر العرب وصار الحرب على النهر المدعو **ذقهرني** (٨) ، **فاذكسر العرب وقتل صدقة ملكهم وههنا انتهت مملكة العرب كليا.**

وفي سنة ٥٠٠ هجرية سنين العربية اي سنة ١٤٣٣ يونانية بعـد ثلاثة سنين من خروج الترك،وفي سنة ٥.٢ للعرب خـرج امير يدعى مودود بن التونتكين بمعـرفة السـلطان غياث الدين ليمضي ويقـاتل الأفرنج،واعطاه الموصل والجزيرة ونصيبين ، وأمر جملة امـراء ان يمضوا معه ، ولما وصل الى الموصل رفض جـاولي ان يعـطيها له، فأقام عليها المنجنيقات وشن حربا عنيفة ، وفي يوم الجمعـة وفيمـا كان العرب في صلاتهم صعد رجـال اقـوياء الأسـوار،لكن جـاولي ورجاله تحصنوا بالقلعة ، حينئذ اقسـم لهـم مـودود ان يعـطيهم الأمان ، فخرج جاولي ورجاله ومضى الى نجـم الدين بـن ارتـق في ماردين،فاجتمعوا وصعدوا ليتحاربوا مع الافرنج ليكون يد لهم عند السلطان الكبير،لأن مـودود لم يركب على الأفـرنج لكنه رجـع الى السلطان ، فاتفق جوسلين حاكم الرها مع حـاولي لأنه تـكرم عليه

بالموصل ، ورضوان حاكم حلب اتفق مع ذلك الملك وانكسر جاولي وجوسلين .

وفي سنة ٥٠٠ للعرب اخذ الفرنج طرابلس التي على شاطىء البحر من ابي علي بن عمار بعد حروب كثيرة اخذوها بيومين ، ولما دخلوا قتلوا العسكر وسبوا الشعب وكل البلاد وباعوهم عبيدا .

وفي هذه السنة وقع سكمان بن ارتق من الفرس ومات،وخرج الأفرنج واخذوا الأثارب وقتلوا بها الفين،واتوا الى منبج وسبوا وتملكوا ايضا على المدينة،ووصلوا حتى بالس واحرقوها بالنار ، ولما وجد رضوان صاحب حلب ونظر انه لن يستطيع ان يلاقي الأفرنج ارسل لهم اثنين وثلاثين الف دينار وعشرين بغل واربعين ثوب اطلس،وارسل لهم ظهير الدين طغتكين اتابك دمشق عشرة الاف دينار،وحاكم حماة الفين وحاكم عسقلون اربعة الاف دينار،وعقدوا صلحا . (٧)

وفي سنة ٥٠٥ هـ ايضا ارسل السلطان غياث الدين عساكر مع مودود ليتحارب مع الأفرنج ، ولما وصلوا الى شبختان اخذوا قلاعا كثيرة،واتوا على الرها لكنهم لم يستطيعوا ان يأخذوها ، وهاجموا تل باشر ، كذلك لم يستطيعوا اخذها ، وتوجهوا الى حلب لكنهم لم يتركوهم يدخلوها ايضا .

ومرض سكمان (٨) حاكم اخلاط فحملوه ليأخذوه،لكنه مات في الطريق .

واجتمع الفرنج وهجموا على مودود ثلاث وعشرين هجمة في يوم واحد وتحاربوا،وكان قد غلبهم في اول هجمة مودود لكنه انكسر فيما بعد وهرب الى دمشق ، وفي يوم الجمعة بعد الصلاة خرج وهو يتفرج ويمسك بيد حاكم دمشق فوثب عليه اسماعيلي فقتله . (٩)

وفي سنة ٥٠٨ للعرب خرجت عساكر السلطان غياث الدين مع ابنه ابو الفتح مسعود وقسيم الدولة آق سنقر البرسقي ليتحاربا مع

الأفرنج،ولما وصلوا الموصل خرج لخدمتهم تيمرك بن ارسلان وزنكي ابن آق سنقر واتفقوا ايضا معهم ، وحين وصلوا الى ماردين خرج نجم الدين لخدمة ابن السلطان وارسل معه سبعمائة وثلاثين فارسا ، ولما جازوا الذبك ارسل نجم الدين الى الأفرنج وساعدهم ، ولما عرف ابن السلطان بهذه المسألة امسك ابن نجم الدين ورماه في الحديد وسبى بلاده ، ونزل على دارا ، ولكن نجم الدين مضى الى شهرزور وجمع شعبا كثيرا واتى اليه ركن الدين ابن عم حاكم كيفا وبلك بن بهرام أخوه الأكبر ، وجمع رجالا يفوقون العدد،واتى بقوة عظيمة ليلتقي بابن السلطان ويخلص ابنه،ولما وصلوا القرديس بقرب دارا كان هناك شرذمة من عسكر ابن السلطان نازلين وغير عارفين ، ولما راوا فرسان قليلين من عسكر نجم الدين اتوا عليهم واشتبكوا كلهم ، وكان بينهم حاكم شبختان وحاكم نصيبين وحاكم مكسين .

ولما علم ابن السلطان ان عساكره قد انكسرت ترك دارا وهرب لنصيبين ونزل نجم الدين وأخذ الخيام وكلما كان لهم ، فأما ابن نجم الدين لما راهم مرتجفين وصار الليل وليس من يعتني برفيقه ، وكانت رجلية بالحديد وهو راكب ، فطرح نفسه من على البغلة واختفى بين جماعة من اليهود،واذا بكردي اتى واعلم ابوه فأرسل عشرة رجال وحملوه فأحضره،وصار فرح عظيم لبيت ارتق. فأما ابن السلطان فتوجه نحو أبيه واشتكى على نجم الدين فأرسل السلطان تهديدا لنجم الدين كونه حقر سلطنة الترك ، فصنع نجم الدين مسالمة مع الأفرنج ، ومع اتابك حاكم دمشق،وتحالفا انهم يساعدان بعضهما بعضا،فمضى كل واحد لبلده،وبقي نجم الدين وحده ، ولما اتى حاكم حمص عليه ليلا وجده سكران وغيرعالم اين هو فحملوه ووضعوه في حمص وارسلوا اعلموا السلطان ، ولما ابطأ الجواب ، أعطى نجم الدين وعده ، وترك ابنه،فأما هذا فجلب عسكرا من السلطان ، ولما وصل اصطلحوا واطلق ابن نجم الدين (١٠) ودخلت عساكر السلطان الى بلاد الأفرنج ليسبوا فالتقى

بهم الأفرنج وقتلوهم كلهم ، يقولون إنهم احرقوا منهم ثلاثة الاف بالنار .

وفي سنة ٥١٣ سلم حاكم حلب مدينته لنجم الدين لأن الأفرنج قد اضعفوها ، وفي تلك السنة أخذ نجم الدين الغازي نصيبين ، ولما مضى الى حلب ليصنع صلحا مع الافرنج ولم يقبلوا فجمع جملة من الاتراك لأنهم كانوا يطيعونه جدا ، يقولون أنهم أرادوا أن يحصوهم فما قدروا ، الف أمير كان فيهم ، ولما اصطفوا لم يصبر حاكم انطاكية حتى يأتي الملك فانكسر ، وأخذ نجم الدين نحو الشرق ، ولما رجع الى ماردين سمع أن أهل حلب قد عصوا عليه فتوجه الى ميافارقين ، ومات في الطريق وأمر أن يملك ابنه بعده وكان اسمه حسام الدين تمرتاش ، ولأنه لم يكن مستعدا ، وكان سليمان حاضرا هو الذي ادخله الى ميافارقين وقبره ، ولذلك ملك هناك ، وملك أخوه تمرتاش في ماردين ، وكان هذا في سنة ست عشرة وخمسمائة للعرب . وهذا الفصل يجب أن يسبق الذي قبله لأنه ملك بعد نجم الدين على حلب بلك(١١).

أحـــــــــــــــــــداث مـــــــــــــــــــا بين ١٤٣٥ - ١٤٤٦ يونانية ١١٢٤ ـ ١١٣٥ م .

نتابع في مطلع هذا القسم الحديث حـول حصـار ملطية لأننا إلى هذا الزمان تحدثنا في المقالة المتقدمة عن موت بلك الذي كانت باسمه تحفظ ملطية بأيادي ابن السلطان ، ثم انقسمت بلاد بلك بين حـكام عديدين : مدينة حلب أخذها حسـام الدين تمـرتاش ، وقلعـة زياد أخذها سليمان،وسلطان ملطية أخذ مسرا وجرجر،ولأجل هـذا وقـع خصام بين حكام قلعة زياد وبين حكّام ملطية ، وبهذا انفتح البـاب أمام الأمير غازي ابن دانشمند حاكم سبسطيه الذي أراد أن يأخـذ ملطية،وعقد عهدا مع السلطان مسعود الذي كان ختنه،فجمع شـعبا كثيرا وهجـم على ملطية يوم الجمعـة في ١٣ حـزيران سنة ١٤٣٥ وسبى قراها،ونزل على المدينة شـهرا،ثـم مضى غازي وترك ابنه محمد في قرية ساحان التي هي قـريبة مـن المدينة ومعـه عسكر عظيم وأمرهم أن يحرسوا أبـواب المدينة ولا يتـركوا أحـدا يدخل أو يخرج منها،حينئذ جلب المأساة لسكانها من الجوع والمرض حـتى وصل قفيز الحنطة الى ستة وثلاثين دينار وأخيرا فني القوت كليا،وصار السكان يأكلون ورق الأشجار وقشور الشـجر الرطـب وأينما وجدوا قططا أو حميرا ميتـه كانوا يأكلونهـا ويلعقـون الدم أيضا،وكانوا يأكلون الجلود والأحذية وما شابه ذلك ، لقد تسلط على المدينة ثلاثة سيوف : سيف من الخارج كان يسقط على رقبة كل من يريد أن يهرب ، وسيف الجوع الذي لا يطاق،وسيف الحكام الأشرار داخل المدينة الذين ما فتئوا يعذبون الناس ويرمونهم بالسجون لأجل جمع الذهب،ومن هنا صارت تحدث مناظر بشـعة فقـد كان الأولاد يبادون أمام عيون أهلهم من الجوع وهم عاجـزون عن مسـاعدتهم سوى البكاء عليهم،ثم أخذهم للقبور،أما العجائز والمشـايخ فـكانوا مطروحين بالأسواق متورمين يئنون لأنهـم لا يسـتطيعون الصراخ،

حتى أن الناس لم يعودوا يتكلمون سوى بالبكاء،أما الحاكم فقد خرج بالليل ومضى فاستأجر الأفرنج بثلاثين الف لكن بعد أن وافقوا معه لم يأتوا لأنهم كانوا متوجهين الى حلب . حينئذ جمعت أم السلطان ايزابيل الثانية كل الأحرار ومن كانت تظن أن لديه مالا والقت بهم بالسجن،وكانوا يعذبونهم بغير رحمة ويأخذون الذهب وقد استعدوا ليقتلوا بالسيف كل المسيحيين ويذهبون . لكن الرب لم يترك أهل المدينة في هذه الضيقة طويلا فارتحلت هذه الملعونة خاتون وابنها،وكان ذلك ليلة الأربعاء ١٠ كانون الأول سنة ١٤٣٦،ودخل الأمير غازي ولما نظر المدينة فارغة من السكان والذين بقيوا بدوا وكأنهم قائمين من القبور شجعهم،وأعتق الأسرى الموجودين والذين يجتمعون ويأتون.وأعطى قمحا للفلاحين يزرعوا،وأحضر البقر والثيران والأغنام،وأخذت المدينة تنتعش . وفي تلك السنة مات سليمان بميافارقين وملك عليها حسام الدين تمرتاش حاكم ماردين وهو أخوه،ولما كانت قلعة زياد لسليمان المكنى شمس الدولة ذهب الأمير غازي نحوها أيضا لكي يملكها،لكن الأمير داود من اسرة ارتق كان قد سبقه فقام الأمير وسبى اهالي بلاد هنزيط واحضرهم الى بلاد ملطية،ثم ذهب مرة ثانية وسبى كل مابقي،وأخذ قلعة مسرا ، حينئذ أتى داوود ليتحارب مع الأمير غازي ، ولما عرف بأنه لن يستطيع أن يقاومه هرب وأخذ يحرق القرى التابعة له .

وفي تلك السنة (١٤٣٦) يونانية مات الخليفة المستظهر في بغداد(١٢) وقام ابنه المسترشد ، واتفق الأمير العربي المسمى صدقة(١٣)مع الأراتقة ، أما الخليفة في بغداد فقد دخل الى بيوت ابيه وطرد الاف المغنين ، وجمع كل أنواع آلات الطرب واحرقها امام الباب ، وأخرج ثلاثة الاف امرأة من المغنيات والزانيات وكان الناس يقولون لأن رؤوساء الدين يبدأوا ينحرفون عن طريق الايمان الصالح زالت السيطرة منهم ومن العرب .

ثم ان الأمير صدقة تمرد وأعلن العصيان على الخليفة .
أما الترك فكانوا يساعدون الخليفة ويطاردون دبيس ابن الأمير

صدقة ، فترك المسلمين والتجأ الى الأفرنج وقادهم ضد حلب ليأخذوها له ، أما البرسقي(١٤) حاكم حلب فجمع عسكرا ليهاجم الأفرنج،حينئذ رجع الفرنجة الى بلادهم ، فدخل البرسقي حلب واطمأن وظن انه كسر الأفرنج فسار ضد أعزاز ليأخذها ، حينئذ اتى ملك القدس وجمع الأفرنج وشنوا حربًا على البرسقي فهزمه وقتل عساكره ، وخلص هو مع قليلين ، وهرب لحلب وظهر بهذه السنة كوكب عظيم من اليمين الى الشمال طوله كثير وعرضه بعمق بلاد الفرس ، وبقي يظهر مدة شهرين ، وفي سنة ١٤٣٥ ظهرت كواكب متناثرة من بداية الهزيع الثالث من الليل الى الصباح ، وفي سنة ١٤٣٦ صار جوع عظيم في كل المشرق .

وخرج البنادقة الذين هزموا المصريين من عكا تحت لواء رئيسهم الدوقس،وتوجهوا بحرا الى مدينة صور المبنية في قلب البحر ، وشرعوا بحصارها ، وكان هؤلاء البنادقة يعملون لصالح بطريرك القدس الفرنجي .

وبهذا الزمان خلص بلدوين الملك من أيادي الترك ، وقد افتك بمائة الف دينار .

وفي سنة ١٤٣٧ قتل الأفرنج حاكم حماه عند كفر طاب ، واحتل الأفرنج جبلة من ابن عمار ، ونزل ملك القدس يساعد البنادقة لاحتلال صور،لكن المصريين سلموا صور لحاكم دمشق ، ولما اتى حاكم دمشق اي طغتكين ليتحارب مع الأفرنج لاقوه في مرج النحاس وقاتلوه وكسروه وخلص قليل من عساكره ، وذهبوا الى دمشق ، بعد ذلك اخذ الأفرنج يضايقون صور بكل أنواع الحرب بالبر والبحر ، واخيرا اخذوها في سنة ١٤٣٧ .

وفي تلك السنة صعد البرسقي مرة ثانية ضد الأفرنج فانكسر ، وهرب ثم أتى للمرة الثالثة فأتى عليه بلدوين ملك الرها فكسره وقتل اثني عشر الفا .

وبعد ان اخذ الأمير غازي ملطية جمع الملك عرب ثلاثين الفا ، واتى ليحارب اخيه مسعود لكونه لم يمض يساعد اخاه في ملطية ، فتركها لغازي ، وهرب مسعود الى القسطنطينية والتجأ الى يوحنا ملك الروم .

فأما الملك عرب فنزل على قونية مدينة مملكة السلطان مسعود اخوه ، واما الملك يوحنا فتقبل مسعود بالفرح ، واعطاه ذهبا كثيرا ، ولما خرج اتى الى عند الأمير غازي ، وانطلقا معا ضد عرب فهرب الى طوروس الأرمني في قليقلة .

وفي سنة ١٤٣٨ بالصيف جمع عرب الترك والأرمن ووضع كمينا وامسك محمد بن غازي ، واتى الأمير يونس على عرب ، وانتصر عرب وامسك يونس ، لكن غازي اتى سريعا ولما التقوا مع بعضهم انكسر غازي في البداية ، ثم صعد الى مكان مرتفع ونصب خيام معسكره وامر أن يضرب بالأبواق ان عرب قد انكسر ، فاجتمع عسكر عرب على اصوات الأبواق ورأوا خيام غازي ، وكان قد حل الظلام فتبددت عساكر عرب ، حينئذ طاردهم غازي ، واخذ خيامهم وخيولهم ووصل الى قومان وانقرة وقاتلها بشدة حتى تملك عليها ، واخرج ابنه محمدا الذي كان معتقلا هناك ، وبعد هذا جمع عرب ايضا العساكر وبدأ يضطهد الناس ويحتل القرى ، وقد احتل قلعة وجد فيها ولد من أولاد غازي اسمه يمن فقتله ، فغضب غازي جدا ، وجمع جيشا ومضى ضد عرب ، فانكسر عرب وهرب،واخذ الأمير غازي يخرب القرى بغير رحمة،ثم جمع عرب عسكرا وزحف ايضا نحو الأمير غازي فانكسر ثانية عرب وهرب ليمضي الى بلاد اليونان فهلك .

كل ذلك صار بين الترك الذين في غضبتهم على بعضهم بعضا كانوا يحتمون بالمسيحيين .

في سنة ١٤٣٨ خرج من رومية بوهيموند بن بوهيموند الذي كان ابوه اميرانطاكية وحمل الاسم نفسه وكان واحدا من الأوائل الذين

خرجوا وملكوا ، فأتى هذا متكبرا متغطرسا ، فأراد ان يستعبد الأفرنج فانقسموا على بعضهم ، وحدثت بينهم حروب ، فاستغل ذلك جوسلين ، وغزا ضواحي انطاكية وسبى كل شيء وجده ، فغضب بطريركهم واغلق البيع وابطل القرابين والصلوات والذواقيس ، وامر أن لايقبروا الأموات،ولما تضايقوا اصطلحوا ورد جوسلين كل ماسباه .

وفي سنة ١٤٣٩ اجتمع الترك والافرنج في منطقة حلب للقتال ، ولما خاف الترك تعهدوا ان يعطوا لجوسلين كل سنة اثني عشر الف دينار ، وعقدوا صلحا معه ، وبعد ذلك دبر الترك مؤامرة مع اناس من أعزاز فسقوا جوسلين سما هو وستة من فرسانه فمات اولئك الستة ، أما جوسلين فبوساطة الأطباء وبعناية الرب نجا فقتل الذين أعطوه السم هم واولادهم .

ودخل في تلك السنة يوحنا ملك اليونانيين الى بلاد الاونجريين واستعبدهم .

وفي تلك السنة خرج السلطان الذي كان في ملطية،وسبى أطراف البلاد البرانية،ومضى ولم يتراءى .

وايضا في شهر آب نهب الترك العصاة بلاد ملطية،فلحقهم داود من قلعة زياد وضربهم وخلص الأسرى وردهم .

وفي تلك السنة مات السلطان الكبير غياث الدين وكان هذا حسن السيرة عادلا وشريفا في انتصاراته ، وكان في ايامه امن دائم في بلاده ، ثم ملك أخوه سنجر بن ملك شاه وابنه محمود .

وفي سنة ١٤٤٠ دخل جوسلين الى بلاد آمد وقتل الترك والأكراد الذين في الجبل الأسود ، ونهب القرى حتى باب المدينة لأنه لما دخل الترك الى بلاد الرها كان جوسلين بأنطاكية،دخلت مع الترك عساكر آمد الى بلاد الرها .

وفي هذا الزمان كان عند حسام الدين حاكم ماردين فارسين افرنجيين : واحد اسمه بررنول ، والآخر جلارن ، ولم يرد أن يقتلهما لكن الزمه البرسقي واقسم ان لم يقتلهما فسوف يخرب بلاده،ولما قتلهما اتى خبر ان البرسقي ضربه بينما كان يصلي يوم الجمعة في المسجد اسماعيلي بسكين ، فما دخلت به لأنه كان لابس زردية ، فأمسك الاسماعيلي ، ولما تضايق صرخ لرفاقه الاثنين اللذين معه وقال : اضربوا من تحت فضربا البرسقي تحت بطنه فمات ، عند ذلك ندم حسام الدين على قتل الفرنجيين .

كمل هذا الخبر بعون الرب .

وفي سنة ١٤٣٨ كان الشتاء شديدا ، أفنى الحيوان والبهائم ، وحدثت ايضا زلازل في شباط .

وفي سنة ١٤٣٩ في تشرين الثاني حدث زلزال مرتين بالنهار ومرتين بالليل،وبقيت الأرض ترتج اربعين يوما واربعين ليلة ، وتراءى كوكب مضيء في ثامن ساعة من النهار ، واخيرا انتفخ كالتنين وسقط .

في سنة ١٤٤٠ تراءت نار في ناحية الشمال في كانون الثاني ، وفي اذار ، وفي نيسان وكان يظهر على شكل أعمدة شبه منفصلة في ناحية الجنوب .

في سنة ١٤٤١ اجتمع الأفرنج وخيموا حول دمشق لأن حاكمها طغتكين المعروف بفضائله قد مات ، وملك ابنه تاج الملوك ، وأمسك اهل بانياس لكي لاتدخلها قوات الأفرنج،فأرسل الأفرنج الوفا من الفرسان والمشاة ليحضروا مايحتاجون من القوت ، والتموين ، فصنع الترك كمينا فتضايق الأفرنج واخذوا من حاكم دمشق عشرين الف دينار ، وعقدوا صلحا ، وعادوا الى لادهم على أن يعطوا كل سنة للافرنج خراجا .

ثم مات طوروس الأرمني حاكم قليقلة في تلك السنة وقام بعده أخوه ليون فبدأ القتال معه بوهيموند حاكم انطاكية .

فأما الأمير غازي لما كسر جميع الترك الذين في كبدوكية ملك وحده ، ووصل الى ساحل البحر ، وكان هناك يوناني اسمه قيسانس حاكم ذلك البلد ، فخرج هذا من تلقاء نفسه الى الأمير غازي وسلمه جميع القلاع التي في بحر بنطس ، واعطاه مكان في بلاده ، واعتبر نفسه من عداد جنوده ، فلما قويت شوكة الأمير غازي في ذلك الزمان سمع بأخبار طوروس فأرسل عساكره الى قليقلة،وكان بوهيموند ايضا والأفرنج قد وصلوا من الجانب الآخر، لكن لا الفرنج كانوا عارفين بوصول الترك ولا الترك كانوا عارفين بوصول الأفرنج ، ولما وصلوا الى منطقة عين زربة راى الترك انه مع بوهيموند قليل من الفرسان ، فاستغلوا هذه الفرصة وهاجموه فصارت معركة حامية وطويلة انسحب على اثرها الأفرنج الى تل عال ، فأحاط بهم الترك من كل جانب وقتلوهم جميعهم بما فيهم بوهموند لانهم لم يعرفوه اولا ، ثم اخذوا راسه واسلحة الأفرنج ايضا وخرجوا عائدين ، اما ليون فظل قابعا لم يتدخل لصالح اي من الطرفين ، وقتل معظم الفرنجة ، وبعد ماتوقف القتال امر الأمير غازي بسلخ راس بوهيموند وارسله مع كثير من الهدايا والخيل الى الخليفة في بغداد فقابله الخليفة بالرضا ورفعه الى مكانة علية خاصة .

وفي تلك السنة اعطى سلطان خراسان الموصل لابن البرسقي ، وقد قيل عنه انه كان ماهرا جدا في الحكمة والعلوم وعارف بتركيب الدسج والبنيان،وكذلك شجاع وجبار في الحروب ، لكنه لم ينجح لأن النجاح والنصر هو من الله ، وقد عاش ثلاثة اشهر فقط في السلطة ، ولما وصل الى الرحبة ادركه الأجل ومات ، ويظن انه قتل بالسم .

وزحف بعده ضد الرحبة مسعود بن آق سنقر ، واقام وحاربها حربا قاسية ، وهذا مات بالسم ايضا .

اما جوسلين فقد هاجم راس العين ، وقتل عددا كبيرا كان اغلبهم من العرب مات اكثرهم خنقا والباقي سباهم رجالا ونساء .

ولما مات مسعود بن البرسقي حاكم الموصل كان بها والي اسمه جاولي من غلمان السلطان الكبير ، فاشاروا عليه ان يأخذ مال من خزانة حاكم الموصل ، فأخذ مالا جزيلا وارسله الى السلطان مع القاضي بهاء الدين الشهرزوري ومعه الأمير صلاح الدين محمد بن ايوب،وارسل يقول للسلطان اني انا امير لكم ههنا لأني من عبيدكم ، ولما دخل الرسل الى بغداد وقبل ان يواجهوا السلطان التقى بهما رجل اسمه نصير الدين جقر بن يعقوب ، وكان من جنس صلاح الدين فأعلماه سبب مجيئهما،فأشار عليهما ان يطلبا عماد الدين أتابك زنكي قائلا : بهذا يرتضي السلطان لأن اتابك من جنسه ، وكان جبارا ومشهورا وتليق به السلطنة فقبلا مشورته ، واجتمعا اولا مع زنكي فحلف لهما اذا انتصب فسوف يلبي لهما كل مايطلبان ، فطلب ذلك القاضي ان يكون قضاء الموصل له ولنسله من بعده مادامت ثابتة في مملكة بيت أتابك ، وأن يكون كلهم قضاة ولكافة البلاد التي تحت حكمه فتأمر بأمره وأمر أولاده ، فحلف لهما على ذلك وثبته بكتاب .

وطلب صلاح الدين منه ان يكون حاجبه الخاص ونصير الدين نائبا عنه بالموصل،وأن يكون أمره على كل الرعية .

وعندما تقدما الى السلطان كانا قبلا قد غمرا كل الذين حوله بالهدايا ، فاعطى السلطان الولاية لزنكي،وكذلك فعل الخليفة،ثم خرج من بغداد ، وخرج معه عسكر ، ولما اقترب من الموصل سبقه القاضي بهاء الدين والأمير صلاح الدين ودخلا على جاولي وقالا له : لم نقدر ان نأخذ لك البلاد فأخذنا لك امرا ان تكون واليا بهذه القلعة ، وأمرك في كل البلاد ، وأمر السلطان أن يكون زنكي هذا هو واتباعه امامك رئيسا للعسكر ، ولما طاوعهم دخل زنكي الموصل (١٩) وقد فتحوا امامه ابواب المدينة والقلعة وملك في سنة ١٤٤٢ ، وحينئذ صعد واخذ الجزيرة ، وملك رويدا رويدا كما يقولون ، ويحكون أنه حفظ على تسلسل الزمان عهود بهاء الدين وصلاح الدين ونصير الدين وزين الدين بتمامها ولم ينقض منها شيء قط.

وفي تلك السنة قتل بوهيموند حاكم انطاكية فاتى الملك من القدس واتى جوسلين من الرها ليتملكا على انطاكية ، فاغلق اهل المدينة الابواب وتركوهما خارجا ، وبعد ان بقيا عدة ايام يتشاوران واخيرا سلم الانطاكيون المدينة لجوسلين لكي يحفظها حتى تتزوج ابنة بوهيموند فتعطيها الى زوجها ويصير حاكما لانطاكية .

عندما كان الافرنج متوجهين الى باب انطاكية اتى زنكي حاكم الموصل ونهب بلاد تل باشر وبلاد انطاكية ، وضرب الفرنجة وقتل اتباعهم وبعد ذلك دخل الى بلادهم وقتل منهم اعداد كبيرة واخذ قلعتين .

وفي تلك السنة خرج يوحنا ملك اليونانيين ليتحارب مع الترك وبنى مدينة على شاطىء البحر، ولما استعد ليلاقي الاتراك غدر به اخوه وجماعة من عظمائه ، ولما ارادوا ان يحبسوه هرب الى الامير غازي ففرح به جدا،واكرمه كثيرا،وارسله الى عند جيراس الى طرابزون .

لكن لما رجع الملك الى القسطنطينية ارسل الذين غدروا به الى المنفى .

اما الامير غازي فقد نزل على سمندو التي كانت مع اخته واخذها حربا ، ومن هناك دخل الى بلاد قليقلة على ليون الارمني ، واخذ القلاع،اما ليون فقد اقسم انه لن يدخل او يرسل لصوصا الى بلاد الامير غازي ، وكذلك ان يعطي كل سنة جزية لغازي فصدق كلامه ، وتركه وخرج ، اما ليون فكذب ولم يعطه شيئا، ثم اتى الامير غازي الى ملطية ، فاتى اليه السلطان مسعود ختنة واسحق اخو ملك اليونانيين الذي رجع من عند جيراس ، وبقيوا كل فصل الشتاء،ثم مضى اسحق الى ليون فاعطى ليون ابنته لابن اخي الملك مع مدينتي المصيصة وادنة ، لكن وقعت بعد ذلك مشاجرة بينهما ، واخذ ليون من اليونانيين كل متاعهم وهرب اسحق وابنه الى عند السلطان مسعود .

وفي سنة ١٤٤١ ولد اربعة اطفال من بطن واحدة ، وبعد عشرة ايام مات جميعهم فجأة في يوم واحد.

في سنة ١٤٤٢ في تشرين الثاني تراءت نار في ناحية الشمال كانت تلتهب كالجبال ، واخيرا صارت كالاعمدة ، وفي ذلك الوقت سقط كوكب واحد عظيم ومخوف جدا ودوى اثناء سقوطه كصوت الرعود الشديدة.

في سنة ١٤٤٣ تراءى قوس كالغمام بالليل ، وفي هذه السنة اصيبت الكلاب بداء الكلب في اكثر البلاد ، وقد اصابوا الناس والبهائم واحدثوا فيهم ضررا فادحا ، وقال المنجمون : إنه عندما يرى الكلاب الكوكب المدعو (كلب الجبار) سيكلبون .

وتجرأ في هذا الوقت رجل فارسي من اهل ملطية ، وخطف الصليب من يد احد المسيحيين ووضعه على احليله ، حينئذ ثار المسيحيون واجتمع اهل المدينة وذهبوا الى الوالي واخبروه ، فأمر الوالي باعتقال ذلك الفارسي وتسليمه للمسيحيين لينتقموا منه كما يريدون ، حينئذ شحروا وجهه واركبوه حمارا ودوروه بالاسواق ، وبعد هذا سمع غازي ايضا فضرب الفارسيوطرده من ولايته.

وفي سنة ١٤٤٤ يونانية حدثت زلزلة في ليلة الثالث من شباط ، وفي اليوم الثاني من اب خسفت الشمس ، وفي ايلول حدث زلزال في وضح النهار ، وبعد هذا تراءت اية مخيفة تشبه النار ، وحدث بعد هذا لمدة سنتين قلة بالمطر وجوع في بلاد كثيرة لا سيما في جزيرة قبرص ، ومن شدة الجوع اكل المسيحيون لحما في الصوم الكبير .

وفي الوقت الذي به خسفت فيه الشمس مات اربعون فارس من الاوبئة ومعهم اربعمائة رجل مسيحي وابن توما الشماس .

وفي تلك السنة أيضا ولد بملطية أربعة أطفال في بطن واحدة ثلاث ذكور وفتاة واحدة ، فمات الذكور وعاشت الفتاة .

وفي ذلك الشهر ولد خنزير له جثتين وراس واحد ومات للحال.

وفي هذا الزمان مات اربعمائة تاجر فارسي ، واربعة رجال مسيحيين كانوا قد خرجوا من القسطنطينية ، ماتوا كلهم بالثلج وحدث ذلك في عيد مارتا ودورس.

ومضى جوسلين الى القلعة التي بين حلب ومرعش ، وكان فيها عرب يغيرون في تلك البلاد ، وقد حفروا تحتها نفقا ، فدخل جوسلين ليراه فانهدم عليه للحال ودفن تحت التراب فأخرجوه وهو على أخر رمق ، ثم حملوه الى تل باشر ، ولما سمع الأمير غازي جمع الأتراك ليدخل لبلاده فأمر جوسلين أن يجتمع الأفرنج وحملوه على حماله وخرجوا ليقاتلوا الأتراك ، وفي الطريق مات جوسلين الثاني ، ولما سمع غازي أن جوسلين قد مات ابدى موقفا نبيلا ، فأوقف الحرب وأرسل وفدا للتعزية وكتب الى الأفرنج قائلا :

اليوم لن احاربكم لئلا يقال إنني قد انتصرت عليكم بعد أن مات ملككم ، فالآن اذا تدبروا أموركم بكل هدوء،واقيموا لكم راس وفق نواميسكم،ودبروا بلادكم بالأمن،ولا يكون لكم فكر من ناحيتي ولا من ناحية عساكري.

أما ملك اليونانيين فقد خرج حانقا على الترك وعلى الأرمن ، وقتل عددا كبيرا من الترك على شاطىء البحر وأخذ قلعتين ، ثم مكر به ايضا عظماؤه وارسلوا ليأخذوا اخاه ويملكوه ، ولأجل ذلك رجع عاجلا. أما الأتراك فقد اجتمعوا ودخلوا الى زوسو بولس ولما نفد زادهم ، وعضهم الجوع ، ولم يستطيعوا أخذها نهبوا البلاد ورجعوا.

أما الأمير غازي فأخذ معه السلطان مسعود ودخل الى شاطىء

البحر فحلا على قلعة اسمها زينين فحارباها لكنهما لم يستطيعا ان يأخذاها،غير انهما اخذا من الروم الذين فيها أربعة آلاف دينار واصطلحا معهم.

في هذا الزمان أرسل خليفة بغداد وسلطان خراسان رئاسة لغازي ليكون ملك الشمال ودعي الملك غازي.

فأما جوسلين الثاني فقد مكر به الأفرنج و استعدوا ليمسكوه ، وصارت بينهم فتنة ، ثم اصطلحوا مده قليله ، لكنه ما لبث أن انفجر بينهم خلاف لأن جوسلين الثاني أراد أن يملك على انطاكية مكان أبيه،لكن اهل المدينة وبطريركهم لم يسلموه بل كانوا يحتفظون بها لابنة بوهيموند.

في سنة ١٤٤٤ يونانية (١١٣٣ م) صعدت عساكر زنكي حاكم الموصل على الرها،فخرج الأفرنج فانكسروا وهربوا.

وايضا في هذا الزمان أتى امير يسمى محمد شمس الملوك كان يبغض المسيحيين،فطلب من حسام الدين حاكم ماردين موضعا فأعطاه بلد شبختان ليحارب الأفرنج،وكان دائما يدخل الى بلاد الرها ويسبي ، فصادفه ستوت فارسا من الافرنج وحدثت معركة قتل فيها الف تركي ثم امسكوه واحرقوه على باب الرها بعد هذا أخذ جوسلين قلعة شبختان وهدمها كليا.

وكان الترك مجتمعون في بلاد حلب فدخل عليهم جوسلين ، أما هم فانسحبوا ودخلوا الى بلاد تل باشر فسبوها فخرج عليهم سبعون فارسا كانوا يتولون حفظ البلاد ، لكن الترك كمنوا لهم وامسكوا بهم كلهم.

وايضا دخل بلاد الترك الافرنج وسبوا،ولم يوجد احد يقف في وجوههم ، لأن الافرنج كانوا مختلفين مع بعضهم.

وايضا خرج يوحنا ملك اليونانيين واخذ قسطمونه بالصلح والقلعتين القريبتين اليها،اخذهما بالقتال ثم هدمهما. (١٦)

أما غازي الملك فقد اخذ قلعة اليونانيين المدعوه البرا بالحرب واحرقها بالنار وجعل الشعب عبيدا.

وفي سنة ١٤٤٥ دخل الترك بلاد انطاكية فلاقاهم جوسلين وقتل اكثرهم،وحينئذ اصطلحوا.

وفي كانون خرج حاكم طرابلس نحو قلعة اسمها بارين فحاصرها الترك حالا واستطاع بصعوبة أن يعود الى القلعة ثانية ، فاجتاح الاتراك البلاد الى جبل لبنان ، وشددوا الحصار على القلعة ثانية ، فتضايق الأفرنج الذين بداخلها من الجوع والعطش ،حينئذ وصل ملك بيت المقدس فهرب الترك ، ونزل الملك على قلعة القصير قرب انطاكية وأخذها بالحرب ، ومن هناك توجه الى عم واجتمع هناك الترك كالجراد ففزع منهم الملك أول الأمر ، فطلب جوسلين فأتى وكان مبتعدا لأنه كان يخاف من مواجهه الملك ، فلما اتى جوسلين أخذ يشجع الملك،واشتعلت الحرب فنزل الاثنان عن فرسيهما وطلب الغفران الواحد من الآخر على المشاجرة التى صارت بينهما ، وحينئذ حاربا الترك وغلبوهما وطاردوهما الى القلعة،ولما رجع الملك من الحرب وصوتت الأبواق طلب جوسلين فلم يجده فصرخ الملك وكل الشعب صرخة عظيمة،لكن جوسلين اتى في منتصف الليل.

أما الملك غازي فرجع الى قسطمونه وأخذها بالحرب وقتل اليونانيين الذين وجدوا بها ، فتألم كثيرا يوحنا الملك وخرج بحدة ، ولكن حدته لم تغير شيئا لأنه ورد عليه خبر موت امرأته وابنه الذي كان خليفة له ، وكان مريضا أيضا لذلك رجع سريعا الى مدينته.

في سنة ١٤٤٥ أتى جراد مثير الى الرها وبلادها فالتجأ المسيحيون بالمنتجب ماربرصوم ، وارسلوا واخذوا يمينه،وفي حال وصولها صارت اعجوبة وارتحل الجراد ولم تتضرر البلاد ابدا.

فأما اليونانيون كعادتهم الرديئة فقد التهبوا حسدا ، فحرضوا بطريرك الافرنج ليفتح الصندوق لكي يروا اليمين ، فرفض الرهبان أن يفتحوا الصندوق وقالوا : إذا فعلنا فسوف يحل الغضب على هذه البلاد ، فصاروا يستهزئون بهم قائلين لايوجد شيئا في الصندوق ، عند ذلك اضطر الرهبان أن يفتحوه في بيعه الافرنج ، وللحال ارعد الجو وخيم على السماء سحاب مظلم ، ونزل برد هائل امتلأت منه الأسواق ، وصار الشعب كله يصرخ باكيا : يارب اشفق ، ايها القديس ماريرصوم تحنن .

اما الافرنج من الكهنة والشعب والبطريرك فقد خروا امام الصندوق باكين،اما اليونانيون فقد هربوا واختفوا،ولما هدأ البرد اجتمع الشعب واقاموا الصلوات لمدة ثلاثة ايام.

أما أهل حران العرب فانهم لما سمعوا بهذا الأعجوبة أتوا وطلبوا من الرهبان أن يأتوا بالذخيرة الى عندهم فلم يفعلوا ، ولما رجعوا الى الدير مضى أهل ملطية وجلبوا رفات القديس ، وخرج كل الشعب بالدعوات والصلوات ، وفي ذلك الوقت لجم فم الجراد ولم يعد يؤذي الزروع قطعا،بل خرج الى الأراضي البور والمفلوحة والتهم القش فتعجبت كل الشعوب وكل لسان مجد الله حين رأوا هذه الأعجوبة، وازداد مجد الله بقديسيه ، فأما الشعب فبقي يصلي وكان يفرق الصدقات ، ورجع عدد كبير الى طريق البر ، وقد صنع الرب اعجوبة اخرى وهو انه كان يدخل الجراد الى حقل القطن ويأكل القش ، ولا يضر بالقطن ، وهكذا كان يفعل في حقول الحبوب والسمسم وغيرها.

في سنة ١٤٤٦ خرج من ايطاليا فرنجي اسمه دي فوتيرس وأخذ ابنة بوهيمند الذي قتل وملك على انطاكية.

وفي تلك السنة مات بلدوين ملك القدس.

وفي تلك السنة اتى زنكي حاكم الموصل الى سورية وحل على حلب،وكان بها والي عربي فأغلق الأبواب ، لكن اهل المدينة كانوا

يعرفون والد زنكي الأمير اقسنقر ، وكان قد ملك عليهم وكانوا يشيدون باستقامته وعدله في احكامه ، وكانوا يعرفون زنكي ايضا لانه ولد بالمدينة وتربى،فتوجه الشعب بحماس وفتح الأبواب وادخلة.(١٧)

اما الوالي فقد هرب الى القلعة فحاربها واخذها ، وامسك بالوالي وقلع عينيه وارسله للموصل،وبالمقابل صنع مع اهل المدينة خيرا ، واصطلح مع الأفرنج ، ثم رجع الى الموصل بسبب مشاجرة بينه وبين الأمراء.

وفي تلك السنة ارسل خليفه بغداد وسلطان خراسان للامير غازي حاكم ملطيه اربعة أعلام سوداء وطبولا تضرب امامه كالملك ، وطوق ايضا من ذهب يوضع في عنقه وصولجان من الذهب ليضرب به بين أيادي الرسل لكي تتثبت له المملكة ولذريته من بعده،فلما أتى الرسل وجدوه مريضا فمكثوا ينتظرون ، لكن ما لبث أن دنا موته ، واعطيت الرئاسه لابنه محمد فالبس الذين اتوا الهدايا محمدا ونادوا به ملكا.

وكان الأمير غازي هذا رجلا سفاكا قاتلا يقتني النساء ويحب الجواري،وكان قبل موته بفترة وجيزة قد أتوا له بامراة ، فأمر اهل ملطية أن يزينوا لها الأسواق ، لكنه كان شجاعا جبارا وصاحب حيله وذكاء وفطنة ، وقد فتح بلاد الروم ، وقتل الأتراك العصاة الذين كانوا بها ، وقد نشر الأمن في بلاده ، وقد حارب وقضى على اللصوص وقطاع الطرق ، وكان يحب الجنود،وكان في وقت موته يزار كالأسد.

ولما ملك ابنه محمد بدأ يسلك ناموس العرب،فكان لا يشرب،وكان يكرم المسلمين ويحكم بالعدل والقسطاس،وكان متفهما جدا ، لكنه كان يهدم البيع.وقد جدد بناء مدينة قيساريه كبدوكيه التي كانت قد تهدمت من مدة طويلة ، وقد بناها بنيانا جميلا بحجر من الرخام الأبيض كان يأخذه من الهياكل الجميلة التي كانوا يهدمونها ، وقد

اتخذها عاصمة له ، ثم انتقل في تشرين الأول الى ملطية أي في السنة التى ملك بها،وهي سنة ١٤٤٦ وكان أهلها يتوسلون أن يخفف عنهم المظالم التي وضعها أبوه .

لكنه ما لبث أن مضى في تشرين الثاني وقد استعجله في ذلك السلطان مسعود ، وخاصة عندما أخبره بأخبار ملك اليوناديين ، ولم يصنع خيرا لأهل ملطية،بل على العكس أخذ معه أولاد الأحرار رهائن.

وفي هذه السنة عصى ابن داوود ارسلان طغميش في قلعة زياد ، وامسكه أبوه ووضعه في السجن ، كذلك عصى على الملك محمد اخواه : يجن ودولت،فقتل يجن،أما دولت فقد نهب بلاد ملطيه.

في هذه السنة أخذ زنكي من الافرنج دارا وزردنا بمعاهده سلام ، لكنه أخذ فيما بعد يضايقهم ليعلنوا اسلامهم ، وتزوج بابنة حاكم القلعة (١٨) ، ولما اتى الافرنج هرب زنكي.

وفي تلك السنة دخل أتراك ملطية الى بلاد الافرنج وسبوا ورجعوا

كان في دمشق بهذا الزمان حاكم يسمى تاج الملوك بوري بن طغتكين وكان له وزير يسمى أبو علي (١٩) من طائفة الاسماعيلية وبسبب هذا صار للاسماعيلية دار في دمشق تدعى دار الدعوة ، وقد قووا بوساطتها لأن كل من كان يدخل إليها ويتفق معهم كان لايدفع الجزية ، وكان فيها مدبر من القدموس ، وهذا ايضا كان اسمه ابو علي ، ويدعى الشيخ ، فعرض فجأة أن واحدا من عظماء المدينة اسمه ابو الذواد ، أو ابن الصوفي أن قتل الوزير بالاتفاق مع الأمير، فغضب الاسماعيلية كثيرا ، واجتمعوا في دارهم واستلوا سيوفهم وبدأوا يقتلون ويذبحون ، ثم اجتمع أهل المدينة وكل الشعب بلا استثناء في ذلك اليوم وكان عددهم سبعين الفا من العرب ، وقد تمكنوا من إفناء سائر الاسماعيلية ، ثم دخلوا سرا وقتلوا الأمير بوري،وأخيرا بقي رجلان من الاسماعيلية .

وفي سنة ١٤٤٦ سار من مصر بهذا الزمان ملك إلى دمشق ، وكان من العرب ، وكان يملك في مصر،لكن هذا مكربه ابنه واراد ان يقتله ويملك مكانه ، ولكن لما وجد هذا الملك أن شعب العرب يتبع ابنه ويجله استنجد بالأرمن الموجودين في مصر وكانوا قد دخلوها منذ ان صعدوا لسورية ، وقد كثروا وصار لهم في ارض مصر جاثليق واساقفة،وكان اسم الجاثليق هذا بهرام ، ولما اجتمعوا عند الملك اشتبكوا بحرب مع التابعين لابن الملك ، وفي رشق السهام انكسر العرب وقتل منهم الوف،وأمسكوا ابن الملك وقتلوه بموافقة والده . (٢٠)

وفي هذا الزمان أيضا تحارب زنكي عماد الدين حاكم الموصل مع امراء ماردين وحصن كيفا تمرتاش وداود ، ولما كان حسام الدين تمرتاش بين دارا ونصيبين في موضع يدعى سرجه اتى إليه ركن الدولة ابن عمه،فحاصروا زنكي بجيش عظيم،فخاف منهم لأنه علم انه لن يقدر أن يقاومهم ، فأمر أن يلبس كل واحد من عساكره درعه ، ويسل سيفه ويقف في باب خيمته،فوقفوا كلهم مثل سور حديدي وبقوا من الصباح إلى الغروب ، حينئذ وفجأة حدث خلاف بين حسام الدين وابن عمه،عند ذلك أخذ ابن عمه عساكره وصعد إلى ناحية الجبل فتبددت العساكر ، وقوي زنكي وطارد حسام الدين ، فهرب الفرسان الى ماردين وهلك من الرجال خلق كثير،وبعد هذا اصطلحوا بواسطة الرسل (٢١) ، لأن زنكي احتاج أن يمضي الى سورية ، لانه كان هناك الأمير سيف الدولة دبيس بن صدقة ، وكان هذا منذ زمن بعيد يريد زنكي أن يمسكه ، لان هو وحده فقط بقي من العرب ، ثم اعتقل هذا في أرض فلسطين ، فأرسل زنكي وأحضره إلى الموصل واقام عليه حراس (٢٢) .

وفي هذا الزمان اختلف الخليفة المسترشد بالله مع زنكي لأنه رفض أن يرسل له دبيس بن صدقة ليقتله ، لأنه كان يبغضه ، فجمع عساكره والتقى الجانبان مع بعضهما فانكسر زنكي وهرب فطاردته عساكر الخليفة حتى سور تكريت ، لكنهم رفعوه من السور بالحبال

وخرج ليلا من تكريت ومعه فارسين فوصل الموصل ، واخرج الأمير دبيس من الحبس واعطاه مالا وارسله ليجمع العـرب ، وكان زنكي يجمع الترك ويتأهب ليزحف نحو الخليفة ، ولما اجتمعـت العسـاكر جمع الخليفةقواته أيضا ، وبعد حروب متفـرقة انكسر أيضـا زنكي وهرب دبيس الى سلطان خراسان ، اما الخليفة فصعد الى الموصل ليخرج زنكي من المملكة ، اما زنكي فقد حصن المدينة وأقـام فيهـا نائبه نصير الدين جقر ، ولم يستطع الخليفة قهره فقفل راجعا (٢٣) .

وبعد هذا بينما كان الخليفة المسترشد راقدا بالخيمة وقت الظهر عند باب مدينة مراغة وسط معسكر مسعود سلطان خراسان ، دخل عليه عشرة رجال فقتلوه ، فقام الراشد بعده (٢٤) .

في سنة ١٤٤٦ صار زلزال عنيف في بداية تموز وايضا في نصف تموز ، وفي منتصف الليل شـوهد كوكب يمشي سريعـا فـوصل إلى القمر وبدا وكأنه قد شقه وجاز في وسطه .

وفي شهر اب ظهر أيضـا كوكبـان مثـل هـذا النوع ، وأخيرا سقطا .

وفي ٢٣ ايلول جاء مطر غزير وبرق فأحرق سبعة ثيران وصبي ، وقد أحرق هذا البرق في بلاد سمندو في تركيا واحدا ، فتركه الأتراك ولم يقبـروه ، إذ كانوا يعتقـدون أن الذي أحـرقه الله لايسـتحق الدفن .

وفي تلك السنة صار زلزال في أرمينية الكبرى ، وخسفت بها مدينة اسمها دوكوف .

وفي تلك السنة حدث شتاء قاس ، ونزل في بلاد ملطية ثلج أحمـر وكان عجيبة جديدة .

وفي أيار جاء جراد لكنه لم يفسد شيئا .

وفي ٢١ تموز نزل نور في منتصـف الليل كالقنديل وانتقـل مـن

المشرق إلى المغرب واختفى ضياء القمر والكواكب ، وبقي إلى أن انبلج الصبح .

وفي هذا الشهر في بلاد خراسان كان المسلمون في مدينة اسمها كاشغر مجتمعون يوم الجمعة ليصلوا كعادتهم في المسجد الكبير ، فصارت فجأة زلزلة ، وانفتحت الأرض ، ونزل فيها كثير من الاحياء ، وقد هلك في هذه الحادثة اكثر من عشرة الاف إنسان .

وفي سنة ١٤٤٧ كان الشتاء معتدلا ، وكان طير الحجل يدخل مع طيور اخرى إلى داخل البيوت ، وكان الناس يتعجبون من ذلك ، لكن بعد ٢٦ كانون الثاني أخذ الشتاء يشتد ، وتجمد الفرات وباقي الأنهار ، واتى ثلج كثير ، وفي امد دخلت الطيور والحيونات إلى داخل المدينة ، فأمر السلطان بأن لايؤذيها أحد وصاروا يعطونهم قوتا إلى نيسان ، ويقولون إن الطيور التي اكلت من المدينة والقرى لما صعدت إلى الجبال اضمحلت في أوكارها .

بمثل هذا عرفنا بأن هذا قد حدث بأمر من عليين ، وذلك لتأديب كل جنس حي،ولا أحد يستطيع أن يمنع ذلك .

اخبار البيعة في هذا الزمان

في سنة ١٤٣١ يونانية ، وفي ٢٦ نيسان منها توفي ديونوسيوس ابن المعترف ، وسجي جسده في بيعة ملطية الكبيرة ، وقد خدم رئاسة الكهنوت خمسين سنة منها اثنتين وثلاثين سنة اسقفا ، واثنتي عشرة سنة مطرانا في ملطية ، وست سنوات بعد أن أخذت منه

في هذه السنين عاشت بيعتنا المستقيمة المجد بهدوء وراحة لأن اليونانيين والخلقيدونيين كانوا محصورين داخل بحر بنطش وملك بني ماجوج ، ولم يعودوا يستطيعون أن يضايقوا المستقيمين المجد ، ولا أن يفسدوهم بهرطقتهم ، وعلى الرغم من كون اليونانيون القساة كما قلنا كانوا محصورين داخل البحر فقد كانوا يرسلون رجالا للأفرنج اي الرومانيين الذين كانوا مسيطرين على انطاكية والقدس كما قلنا من قبل رؤساء كهنة في منطقة حكمهم ، وكان رعاتنا بينهم بغير اضطهاد،وبغير حذر لأن الأفرنج ، ولو أنهم متساوين مع اليونانيين بازدواجية الطبائع لكنهم متميزين عنهم بانواع كثيرة،وبعيدين عنهم كليا في الأمانة وفي العادات ، وكان الأفرنج في هذا الزمان مسيطرين على بلاد فلسطين وسورية ، وكان لهم رؤساء كهنة في كنائسهم ، ولم يطلبوا من اي طائفة قط أن تلتزم بايمانهم لأنهم اعتبروا كل من يسجد للصليب مسيحيا.

وعد الاتراك،الذين كانوا ضابطين لأكثر البلاد ،المسيحية عقيدة ضلال ، ومع هذا لم يميزوا قط بين المذاهب ، ولم يكن شرعهم ينص على الاضطهاد بسبب الايمان كالآيونانيين الشعب الشرير المهرطقين.

وعندما لم يعد أمام اليونانيين الأشرار فرصة ليضطهدوا

المستقيمي المجد كما كانوا يصنعون من قبل ، لم يتوقفوا مع هذا عن قساوتهم ، بل كانوا في انطاكية ومصر يقيمون لشعبهم بطريرك في اراضي المسلمين ، وكانوا يتحركون لكي يشقوا السريان والقبط والأرمن كالحية الرقطاء المضروب رأسها ، لكنها تحرك ذنبها ، فلما كانوا بسورية وارمينية وفي فلسطين ومصر مع بطريركنا واساقفة شعبنا واخوتنا الأرمن والقبط كان اساقفتهم اليونانيين والخلقيدونيين يعملون بقدر استطاعتهم على تمزيق هذه الشعوب الثلاثة ، وكان اليونانيون الذين في القدس وانطاكية يداومون على الشرور ، وكان رؤساء الكهنة الفرنج يميزون بين كهنة الطوائف الثلاث ويرعون المستقيمي المجد ، وكانوا يقومون ضد اليونانيين أيضا.

اما على حدود الأتراك فكان بهذه الأيام جميع المستقيمي المجد مرتاحين من ضرر الخلقيدونيين ، وكانت البيعة هادئة.

اما عن فتنة البطريرك مع ابن صابوني ومع المطارنة الشيوخ الثلاثه وهم ابن المعترف الذي اخرجه من ملطية واسقف قليسوره واسقف طور عبدين الذين حرمهم البطريرك ، ولم يكونوا من اصحاب البدع ، ولم يجاوزوا القانون وانما فعل ذلك لأنهم حقروه ، وكان قد توسط لهم اناس كثيرين ولم يقبل ، فقد مات اولئك المطارنة وهم محرومون ، ولهذا السبب ضعفت الأمانة بين كثيرين

وكان اثناسيوس السادس بطريرك السريان (١٠٩١ ـ ١١٢٩) وهو المعروف بأبي الفرج بن كامرا قد غضب على ابي غالب باسيل بن صابوني مطران الرها وحرمه وابطل الصلوات والطقوس في كنائسه من نصف الصوم الكبير حتى أحد العنصرة ، واعاد جميع الرسامات التي اجراها المطران ، فحنق المطران باسيل على بطريركه وسار الى انطاكية ورفع الدعوى عليه الى بطريرك الفرنج واساقفتهم وأربابهم فأوفدوا في طلبه مندير اللاقشر في كوره قاسيونا ، وادخلوه الى كنيسة القسيان مرحبين به

وسألوه أن يغفر لمطرانه ويصلي عليه ، فأبى ، فثقل ذلك عليهم واستوضحوه السبب بواسطة ترجمان فقال لهم ان المطران مذنب ومجرم ، غير ان الترجمان نقل اليهم كلام البطريرك على غير صحته فقال :لقد نعته بالمجرم لأنه مديونا له بذهب وافر ، فقال الفرنج إن كانت المسألة مسألة مالية فتلك شيمة سيمون الساحر ولا يحق للبطريرك ان يتشبث بها ، وبعد أخذ ورد طويل وعدهم البطريرك بأن يصلي على مطرانه ويغفر له ، فألح عليه رؤساء الفرنج أن يكتب له صكا بذلك ويطلقه ، ودفعوا اليه قرطاسا ليكتبه حالا دون توقف ، فلما أخذ البطريرك القلم التفت الى ابن صابوني وكان واقفا بالقرب منه وقال له : انظر يا ابا غالب الى أي ذل أوصلتني ، فقال له أبو غالب منتقما : إن كنت انا ابو غالب فأنت ابو الفرج ، فما كان من البطريرك إلا أن القى القرطاس ومد عنقه ، وقال للحضور اقطعوا هامتي فإني لن أحله ، فتأثر أحد الأساقفة وقال لأعضاء المجلس : دعوا البطريرك ومطرانه وشأنهما ، فأرفض ذلك المجمع دون جدوى ، وخرج البطريرك اثناسيوس من الكنيسة وخرج معه جميع الملتئمين وانطلق الى كنيسة والدة الرب بيعه السريان في انطاكية.

أما رؤساء الفرنج فأرسلوا يحرجون عليه مغادره انطاكية قبل ان يعقدوا مجمعا ثانيا لاعادة النظر في تلك الدعوى ، فظل البطريرك محجورا مده خمسة ايام لا يسوغ لأحد أن يفاتحه في المسألة قطعا. غير أن بعض الكهنة السريان قصدوا عبد المسيح الفيلسوف الرهاوي الملكي صديق البطريرك ، وسألوه أن يسعى في حسم تلك المشكلة فسار اليه وتفاوضا مليا ، ثم ان البطريرك قصد الملك رجير صاحب انطاكية في تحف وتقادم واستأذنه في العودة الى دبره ، فأطلق له الحرية في ذلك بموافقة البطريرك الأنطاكي.

لكن البطريرك اثناسيوس بعد أن خرج من انطاكية بالتهديد لم يعد يرضى أن يبقى تحت حكم الافرنج فترك بلاد انطاكية ، ومضى الى مدينة آمد التي بين النهرين التي كانت مرعية مخصصة لكرسي

البطركية . ولما جلس في دير قنقرت(٢٥) زادت الضغوط على الرهـا فأغلقوا بيعتها ونزعوا ناقوسها بسبب ابن صابوني ، ولذلك صـار فساد كثير بين الرعية في الرها وتمرد الكهنة وقاموا ضـد بعضـهم بعضا ، وصار الشعب يترك بيعهم ويمضي الى الكنائس المخالفة لنا في الايمان ، ومن هنا اعتاد الرهاويين أن يعمدوا أولادهم في كنائس الافرنج دون أن يتألموا أو حتى يهتزوا بل لم يخطر على بـالهم هـذا قط ، وقد تضررت كثيرا بيعة مستقيمي المجد بهذا الاضطراب الذي صار بين الرعاه..

اما مار اثناسيوس فقد ظهر له في آمـد عدو شرس ،فقـد كان في رعية آمد اناس معروفين يدعون بني قربا يسكنون في قـرية قنقـرت، وكان اباء هؤلاء في الماضي قد اختلفوا مع ابوي البـطريرك ، وكانت عشـيرتهم تـدعي بني كامـرا وكان لبيت قـربا هؤلاء دور وحقول ، وكانوا متسلطين بالمكان ، ولما مضى البـطريرك وجلس في دير قنقرت صار بينهم وبين البطريرك خلاف حـول بعض الحقـول وصاروا يذمون البطريرك امام الحاكم ، فطلب الحاكم من البطريرك ان يغفر له فرفض،فاستشاط الحـاكم غضـبا وامـره ان يلزم دير قنقرت والا يخرج منه ، فما كان من البطريرك الا ان حرم الشماس ابن قربا الآمدي فاحتدم الشر ، وكثر الاضطراب بينهـم ، وامتـد ايضا الى آمد وباقي نواحي الأبرشية ، فتضـايق كثيرا البـطريرك كما سنوضح هذا فيما بعد،وفرض الحاكم على البطريرك اثناسيوس بسبب حرمانه لاسحاق ابن قربا ان لايخرج مـن آمـد لانه طلب منه مرارا كثيرة ان يفك حرمانه ، ورفض كذلك عندما اتى ايضـا الأمير بنفسه الى دير قنقرت وسأل البطريرك ان يفك حرمان اسحاق ، فلم يقبل لكنه اطفأ غضب الأمير بالذهب الذي أعطاه له ، وحينئذ أشار اسحق الشماس على الأمير أن لايترك البطريرك يخرج من آمد قائلا ان البطريرك رجل شيخ وسـوف يمـوت قـريبا هنا ، فتـأخذ انت متروكاته ، فبقي البـطريرك مقيمـا في آمـد كأنه مسـجون ، لكن البطريرك اثناسيوس استغاث بجوسلين حاكم الرهـا وطلب منه ان يتوسط عند امير آمد ، فأرسل جوسلين عاجلا الى حاكم آمد يقـول:

أن لم تطلق سراح البطريرك فإنني سوف اخرب بلادك ، فأذن للبطريرك ان يمضي فخرج من آمد ، وذهب مباشرة ليشكر جوسلين ، ومن هناك صعد الى دير مار برصوما ، وكان يوم أحد الغنطيقوسي ، فابتدا بالقداس ولما وصل الى دعاء الروح القدس اضطرب ، وتغير وجهه ، وذهب عقله فأجلسوه على الكرسي ، واكمل مطران جرجر القداس،لكنه مالبث ان عاد الى وضعه الطبيعي ، فرسم مطرانا لشبختان ، غير أنه مالبث ان مرض فبقي سبعة ايام ثم دنا وقت انتقاله،وكان ذلك يوم السبت ٨ حزيران سنة ١٤٤٠ في الساعة الثالثة حيث توفي فجنز وسجي جسده في بيت خزانة الدير .

وفي السنة التي توفي فيها مار اثناسيوس البطريرك توفي ايضا مار قربوس بابا الاسكندرية .

ولما وصل خبر موت البطريرك اثناسيوس الى الرها اجتمع الكهنة بحسب القانون لجنازته ، وفيما كان يشارك ابن صابوني بالخدمة سقط وذهب عقله فحملوه لقلايته ، وبعد ذلك استعاد رشده، ولما اجتمع المجمع في كيسوم اتى ابن صابوني الى سميساط ليذهب الى المجمع فوقع هناك عن الفرس الذي كان يركب عليه ، فحملوه وأرجعوه الى الرها ومات وتوفي وهو محروم .

وكان رأس المجمع في ذلك الزمان ديونسيوس اسقف كيسوم،ولما اجتمع الأساقفة واقاموا قرعة وقعت القرعة على المعترف رئيس دير الدوائر الذي في نواحي انطاكية ، ثم مضى اسقفان ليأتيا بالمدعو، فتوفي خلال ذلك ديونسيوس اسقف كيسوم واتى بعده الشيخ ديونسيوس المفريان ، فمضى كل الأساقفة مع المفريان الى تل باشر بعناية جوسلين الذي احاطهم بالخيالة ، ورسموا ماريوحنا المعترف راعي الدير بطريركا وذلك يوم الاثنين من الأسبوع الثاني للصوم في ١٧ شباط ، ووضع عليه اليد ديونسيوس المفريان في بيعة الأفرنج الكبيرة ، وكان جوسلين وعظمائه واقفين بالخدمة ، وبوساطة جوسلين صنع البطريرك والمجمع حلا لابن

صابوني وايضا لمطران شبختان الذي كان قد تـرك رعيتـه فحـرمه البطريرك بمرارة ، وأمر أن لاينقبل في البيعة ، وقد عاد وقبلوه بعـد توسط جوسلين ، وأعطوا له كرسي سمندو الذي كان راعيه قد توفي فانقبل هناك مدة قليلة ، لكنه مالبث ان طرد مـن هناك فمـكث بغير رعية كل زمان حياة ماريوحنا ، وبعد موت هـذا البـطريرك ايضـا اشفقوا عليه فأعطوه سميساط في رسامه البطريرك الذي صار بعـد ماريوحنا ، وهناك ايضا انقبل مـدة يسـيرة ، لكنهـم مـالبثوا ان طردوه تائها من مكان الى مكان ، ومضى الى القدس لكنه لم يستطع البقـاء في ديرنا هناك ، ثـم مضى الى عند الأفـرنج المدعويين داوية ، واخيرا سقط في تنور النار واحتـرق ، وصـار عبـرة كيف تكون اخرة الذين يدوسون قوانين البيعة المقدسة ، ويحرمون الرعية من الرعاية لأن البطريرك قال له ان تتـرك رعيتـك في شـبختان فلن تستحق الا المقبرة .

فصل اخر حول أخبار البيعة في هذا الزمان

بعد رسامة ماريوحنا البطريرك وقع شجار بين الأساقفة في المجمع لأن ديو نيسوس المفريان كان يريد زيادة على رعيته ، فقام كل الأساقفة في وجهه عند ذلك خرج غاضبا ، ووصل الى آمد واراد ان يقيم بطريركا اخر ويعزل الذي قام ، لكن الرب المهتم ببيعته في كل وقت ومزيل الأفكار الآثمة أوحى الى حاكم آمد في ديار بكر ان يطلب اعتقاله،وبصعوبة استطاع ان يفلت ، ولما رجع الى رعيته بقي صامتا لايأتي بأي حراك .

اما في كرسي الأسكندرية ومصر وبعد قريوس قام مقاريوس ، وبعد ان توفي هذا في تلك السنة التي توفي بها مارأثناسيوس ارتسم تاودوروس ، لكن هذا وجد بعد مدة انه هرطقي تابع للاشقي يولياني الخيالي ، ولأجل هذا نفي وصار ميخائيل بطريركا لكرسي القبط ، وبعد هذا اصبح جبرائيل بطريركا لكرسي الاسكندرية ، وكان هذا متعمقا بالعلوم وماهرا جدا في الخط واللغة العربية ، لكونه رأى ان كل الشعب القبطي يتكلم اللغة العربية ويكتب بالخط العربي ، لأن مملكة العرب تثبتت في الزمن الذي تقدم في كل تلك الأرض ، فاهتم وتعب ونسخ كتابي العهد القديم والجديد وباقي الكتب ، ورتب الخدمات الكهنوتية في الخط العربي لكي يفهم السامعون ، ويقرأ كل الشعب الكتب المقدسة .

واما البطريرك ماريوحنا فقد مضى الى دير مار برصوما وجمع الأساقفة وحرم المطران ماريوحنا بن اندراوس لأنه لم يقبل البطريرك لما مر في رعيته ، لكن كل الناس اجمعوا ان هذا السبب لايوجب الحرم الذي قطعه عليه .

ترك بهذا الزمان بسيليوس بن السمنة أسقف كيسوم رعيته ، بعدما ابدى شكوكه حول صحة حرمان ابن

اندراوس ، وامتنع من الرعاية ، كأن ليس بالناموس واجب تدبر امور البيعة ، ومضى الى دير المتوحدين الذي على شاطى الفرات المدعو دير القناة وجلس هناك بالخلوة،وعندئذ اشار اناس على البطريرك ان يجعل من كيسوم كرسي البطريركية عوضا عن امد لكونها في حكم المسيحيين ، وبعد ان صارت كيسوم باسم البطريرك خمس سنين،وبعدما رسم البطريرك لأمد مطران هو بسيليوس ، رجع ابن اندراوس الى رعيته ، وبناء عليه رجع ايضا بسيليوس بن السمنة الى كيسوم،وفي هذا الزمان ارتسم للرها مطران اسمه باسيل ، وكان رئيسها وقد دعي باسم اثنا سيوس ، وبعدما استقام بها سبع سنين توفي في سنة ١٤٤٧ ، وفي تلك السنة توفي ايضا اياونيس مطران ملطية ، وهو المعروف باسم الديشع ، ووقع بعد موته خصام كبير بين جماعة الاكليروس حول انتخاب راع لها ، لأن باسيليوس اسقف جيحان ، الرجل الماكر الكثير الحيل ، والذي كان دائما من قلاية البطريرك جالس لاجل امور الكتابة وتدابير البيعة ، كان يمانعهم لئلا يرسموا مطرانا لملطية ، لانه كان مصاب بمرض الشراهة،وطمع ان يأخذها زيادة على رعيته ، وكان البطريرك القديس في وداعته ينجذب خلف باسيليوس وتدابيره ، وهكذا بقيت ملطية ثلاث سنين بلا راعي ، لان كل من رؤي اهلا للمنصب ورشح لكي يصير مطران ، كان ينقصه اسقف جيحان عند البطريرك ويسمه بكل نوع من انواع المذمة ، والبطريرك كان يصدق كلامه ، حينئذ اختار اهل ملطية ان يرعاهم المطران الربان يشوع الشماس المعروف بابن قطرة من المدينة، وارسلوا رسالة اتفاقهم وعمموها ، فلما نظرها اسقف جيحان كتب على لسان البطريرك حرمانا كبيرا على يشوع

مقتل دبيس بن صدقة

هرب الامير دبيس الى عند السلطان ، لكنه لما احس أنهم يريدون ان يقتلوه تحيل ليفلت ولم يقدر ، ثم قال كلمة محزنة الى

متى اتشرد واطارد ، ليس هناك افضل من الموت ، وذات يوم بعد ان اكل خبزا من مائدة السلطان ودخل السلطان للبيت الداخلي ، خرج احد الخصيان وقال له ان السلطان يأمرك بان لاتمضي بل اجلس واقرا هذه الرسائل ، ولما بدا يقرا الرسائل قام احد الواقفين خلفه فضربه وقتله .

نهاية ميخائيل الارمني

في سنة ١٤٤٧ ابتدا الخصام بين الارمن والافرنج ، وكان ميخائيل الارمني قد خرج بأيام بلك من قلعة جرجر وتركها ، ثم عاد بعد مقتل بلك ايضا فسرقها وسكن بها ، وحينئذ وقفت بوجهه الطائفة المدعوة سيبرك وصار ينهب قراهم وهم ينهبون قراه ، وفي احد الاوقات ادركه الترك في كور زيزونا وهو على شاطئ الفرات فأحاطوا به من كل جانب،ولما لم يجد سبيلا للخلاص طرح نفسه من اعلى الصخور الى النهر ، وكان يلبس درعه ويمسك ترسه في يده فغرق بالماء ، لكن مالبث ان انقذه زورق كان حاضرا هناك ونجا ولم يمت ، حينئذ اعطى جرجر لجوسلين ، واخذ سفرس ، لكن جوسلين باع جرجر لباسيل اخي جاثليق الارمن بخمسمائة دينار ، ثم ندم ميخائيل واراد ان يرجع اليها ، ولما رفض ان يعطيه اياها جوسلين جمع عسكرا ودخل ونهب بلاد كيسوم ، فخرج عليه الافرنج ، وقتل بغير قصد بل عرضا .

اما باسيل حاكم جرجر فإنه لما اخرجه الافرنج مضى الى لاون الارمني الذي في قليقيه وصار ختنه،وجمع رجال الأرمن واتى ليحارب الافرنج الذين في فرمازن (٢٦) لكن هناك قتل جملة من الأرمن ، ثم لما رأى الترك الحروب بين الأرمن والافرنج ارسلوا واحدا اسمه افشين كان قاسي القلب فنهب بلاد كيسوم ، ولما رأوا ان ليس من يردهم دخلوا ايضا ونهبوا البلاد الى انطاكية ، وبعد قليل ايضا دخلوا ووصلوا الى اللاذقية واخذوا غنائم كبيرة ، ورجعوا الى نهر

العاصي فصادوا سمكا واكلوا منه فمات في الحال اكثرهم وقد صارت هذه اما بفعل ما ، او بضربه من العلي ، اما الذين بقيوا على قيد الحياة فأسرعوا بالهرب خوفا من الموت وتركوا المنهوبات .

مصرع الخليفة الراشد

بعد ان اتفق مسعود سلطان همذان مع داود السلطان ، ولما سمع الخليفة انهما اتفقا فزع ففرقهما بالسر ، واتى ليحارب مع مسعود ، ولما نظر ان داود ختنه لم يأت ليساعده علم ان الخليفة وعده ان يعطيه المملكة وحده ، فتحارب مسعود مع الخليفة اولا وكسره وامسكه وربطه بالحديد ، ثم طارد داود وهنا صار كما هو مكتوب ان الخليفة قتل في معسكر مسعود على باب مراغه وقام بعده الخليفة الراشد ، ثم طارد مسعود داود لانه هرب الى ارمينية وسبى ، وخرج الى الموصل الى عند زنكي ، اما هذا فلكونه ند لمسعود حمى داوود ، ونزل معه الى بغداد وارسل الخليفة ان تعطي السلطنة الى داود اما هو فكان يخاف من مسعود ، وظل يعدهم من وقت الى وقت مدة عشرة اشهر ، حينئذ امتلأوا غضبا ونهبوا بغداد الشمالية كلها ، وعند ذلك التزم الخليفة واوجب السلطنة لداود ، فسمع مسعود وصعد ، اما الخليفة فقد ترك بغداد واتى مع زنكي الى الموصل ، ولما وصلوا وسمعوا ان الوالي الذي في نصيبين تمرد على زنكي وصار مع حسام الدين حاكم ماردين ، اتى زنكي على نصيبين وكان معه خليفة بغداد والسلطان داود ، فأصلح نصيبين ورجع الى الموصل ، اما الخليفة فنزل الى بغداد واصطلح مع مسعود بوساطة الرسائل ، ونزل الخليفة الراشد الى خراسان وانتهت مملكة العرب كليا وصار الخليفة مستعبدا للاتراك .